مؤتمر الشيشان وإقصاء السلفية من مصطلح أهل السنة

مسابقة البحوث العلمية

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◉ العدد ٥٤١ السنة السادسة والأربعون - محرم ١٤٣٨ هـ ◉

الثمن: ٣ جنيهات

عام جديد ودعوة التوحيد

- ☐ لا تحزن إن الله معنا
- ☐ المسلم بين إرادة التغيير وإدارته
- ☐ إعلان النكير على غلاة التكفير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

إحسان الظن بالله

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي...».

قيل لأعرابي: إنك ميت، فقال: ثم إلى أين؟ قيل له: إلى الله تعالى، فقال: ما وجدنا الخير إلا من الله، أفنخشى لقاءه؟!.

وسُئل أحد السلف: هل تعرف رجلاً مستجاب الدعوة؟ قال: لا؛ ولكني أعرف من يستجيب الدعوة.

وسأل رجل ابن عباس: من يحاسب الناس يوم القيامة؟ قال: الله- قال الرجل: نجونا ورب الكعبة.

واحتضر شاب فبكت أمه، فقال: يا أم؛ لو أن حسابي يكون بين يديك فماذا تفعلين بي؟ قالت: أرحمك، فقال لها: الله أرحم بالعبد من الأم بولدها.

سبحان من قال: « وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » (طه:١٠٨) في موقف الرعب والخوف وغضب الجبار، لم يقل: «وخشعت الأصوات للجبار». مع أنه موطن عظمة وجبروت وغضب في يوم الحشر، بل قال: «للرحمن»، فجاء بالرحمة في مقام تنخلع فيه القلوب.

أيها القانط من رحمة الله، واليائس من روح الله؛ أحسن الظن بالله.

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي على ٤٤ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٤ سنة كاملة

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام	٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير	٥
من روائع الماضي: الشيخ محمد حامد الفقي	٧
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي	٩
باب العقيدة: د. صالح الفوزان	١١
القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد	١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
درر البحار: علي حشيش	٢١
منبر الحرمين: د. عبد المحسن القاسم	٢٣
الفكر الإسلامي: د. أحمد سبالك	٢٦
التنمية البشرية: د. ياسر لمعي	٢٨
أهل السنة والجماعة: محمد عبد العزيز	٣٠
إعلان النكير على غلاة التكفير: معاوية محمد هيكل	٣٣
احذر هذه البدعة: سيد عباس الجليمي	٣٦
واحة التوحيد: علاء خضر	٣٨
الاقتصاد الإسلامي: د. حسين شحاتة:	٤٠
الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم: د. سراج ربيع	٤٣
باب الفقه: د. حمدي طه	٤٦
باب البلاغة في القرآن: د. عبد الحكيم حسام الدين	٤٨
الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية: علي حشيش	٥٣
وجوه ووجوه: صلاح عبد الخالق	٥٧
التربية الإسلامية: د. عبد العظيم بدوي	٦٠
وقفة مع النفس: عبده أحمد الأقرع	٦٢
دراسات شرعية: متولي البراجيلي	٦٤
قرائن اللغة والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي	٦٧
العالم الإسلامي: رئيس التحرير	٧١

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٥٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

فضل العلم وشرف أهله

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله العليم الخبير، والصلاة والسلام على من علمه رب العالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن مكانة العلم في الدين سامية، ولأهله بين الأنام مراتب عالية، ولذلك أحببت مع مفتتح العام أن أذكر أمتي به، وأدعوهم إلى السعي في تحصيله لينالوا الكرامة في الدنيا والفوز في الآخرة، وقبل أن أتكلم عن فضله ومكانته أعرف أولاً به، فأقول وبالله التوفيق:

العلم في اللغة: مصدر مأخوذ من مادة علم، وهي تدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، وهو نقيض الجهل. (انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة علم).

أما في الاصطلاح فقد عرفه ابن حزم بقوله: «هو تيقن الشيء على ما هو عليه». (الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٣٤). وذكر الشوكاني له تعريفات متعددة، ثم عقب عليها بقوله: «والأولى عندي أن يقال في تحديده: «هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافًا تامًا». (إرشاد الفحول ١/ ٦٤).

وقد وردت نصوص كثيرة في القرآن تشير إلى فضل العلم ومكانته، ومنها قوله تعالى: « أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ » (الزمر:٩)، وقد دلت الآية على التفرقة بين العالم وغيره وبيان أنهما لا يستويان، قال القاسمي في تفسيره: «في قوله تعالى: «هل يستوي..» الآية. مدح العلم ورفعة قدره، وذم الجهل وتنقصه، وفي الآية أيضًا إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، إذ عبر عنهم أولاً.. ثم نفى المساواة بينه وبين غيره. قال القاشاني: وإنما كان المطيع هو العلم؛ لأن العلم هو الذي رسخ في القلب وتأصل بعروقه في النفس، بحيث لا يمكن صاحبه مخالفته». (تفسير القاسمي ١٤/ ١٣١).

وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (المجادلة:١١)، والمتأمل في هذه الآية يدرك فضل العلم وشرف أهله. قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية، وقال: «أيها الناس، افهموا هذه الآية، ولترغبنكم في العلم؛ فإن الله تعالى يقول: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

«وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ» (المجادلة:١١)، المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات». (تفسير البغوي ٤/٣٠٩).

ومما يدل على فضل العلم أن الله ذكر في كتابه أن أهل العلم هم الذين يعقلون كتابه ويفهمون أمثاله. قال تعالى: « وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ » (العنكبوت:٤٣)، قال ابن كثير: «أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه. قال الإمام أحمد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل». وعلق ابن كثير على هذا بقوله: «وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه حيث يقول الله تعالى: « وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ » (العنكبوت:٤٣)». (تفسير ابن كثير: ٣/٥٦١).

ولو لم يكن للعلم قدر عظيم ما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل المزيد منه، قال تعالى: « فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا » (طه:١١٤).

وكان صلى الله عليه وسلم في دعائه إلى ربه العلم النافع والزيادة فيه، كما في سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني وزدني علمًا». (صحيح سنن الترمذي ٣/١٨٥). قال ابن عيينة: «ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة من العلم حتى توفاه الله عز وجل». (تفسير ابن كثير ٣/٢٣٠).

كما وردت آثار كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم على فضل العلم وأهله، منها ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». (البخاري: ٧٩، ومسلم: ٢٢٨٢).

فهذا الحديث العظيم والمثل الحسن الجميل يظهر فضيلة العلم، ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم

العلم يرفع الضعيف في أعين الناس إلى مقام الشرفاء والعظماء

◆

العلم تركة الأنبياء وتراثهم وأهله عصبتهم ووارثهم

◆

حسب العلم فضيلة أن يكون مادة حياة

جعله كالغيث النازل من السماء، ويحمل في طياته الخير والبركة لأهل الأرض فيحيي الله به الأرض بعد موتها، كذلك العلم يحيي الله به القلوب، وحسب العلم فضيلة أن يكون مادة حياة. قال القرطبي وغيره في معنى هذا الحديث: «ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا حال الناس قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبَّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أواه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فأداها كما سمعها»، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها. (فتح الباري ١/١٧٧).

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم العلم مساويًا في الفضل والأجر للمال الذي يتصدق به صاحبه فيجري له أجره دون انقطاع، والولد الذي يدعو لوالده، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (مسلم: ١٦٣١).

ومن أراد الله به خيرًا فقهه في دينه وعلمه، كما في البخاري عن معاوية رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». (البخاري: ٧١).

قال ابن حجر: «وتفسير اللبن بالعلم لاشتراكهما في كثرة النفع بهما». (فتح الباري ١/١٨٠)، والعلم يرفع الضعيف في أعين الناس إلى مقام الشرفاء والعظماء، ويوضح ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: استخلفت عليهم مولًى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين». (مسلم: ٨١٧).

وللفيروزآبادي كلمات رائقة في بيان فضل العلم وأهله، يقول: «فهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم وورارثهم، وهو حياة القلوب ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتميزين، وهو الميزان الذي يوزن به الأقوال والأفعال والأصول، وهو العالم المفرق بين الشك واليقين، والغي وإرشاد الهدى والضلال، به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد.. والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب، لأن المرء يحتاج إليهما مرة أو مرتين في اليوم، وحاجته إلى العلم كعدد أنفاسه، وطلبه أفضل من صلاة النافلة، نص عليه الشافعي وأبو حنيفة، واستشهد الله عز وجل أهل العلم على أجل مشهود وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم فإنه لا يستشهد بمجروح: «شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (آل عمران:١٨)». (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/٩٠، ٩١).

فيا أهل الإيمان: العلم طريقكم إلى الجنة، وهو ميراث النبوة فاحرصوا عليه، وولوا وجوهكم إليه، ويا فلاح من تعلم وانتفع!

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

كلمة التحرير

مؤتمر الشيشان.. وإقصاء السلفية من مصطلح أهل السنة

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله ناصر عباده المؤمنين الموحدين، الداعين إلى الله تعالى على بصيرة، وعلى هدي سيد المرسلين، وبعد:

ونحن على أعتاب عام هجري جديد، وما تزال الأجواء في البقاع الإسلامية تخيم عليها المآسي والأحزان والانقسام والتشتت، انقضى عام وما زالت المحن تحل بأرض الإسلام عامة وبأهل السنة خاصة، فقد تكالبت عليهم أعداؤهم من كل حدب وصوب، للنيل منهم واقتلاعهم، وتشتيتهم، فدول سُنية تُباد بمشاركة أمريكا وروسيا، ومعهما إيران وأعوانها، وما يحدث في سوريا والعراق، وليبيا واليمن، خير شاهد على تلك الأحداث التي كانت تستوجب الاعتصام عندما تدلهم الخطوب، وتتكالب الكروب، وتظلم الدروب، وتنتشر الفتن، فتنجو السفينة بركابها، في تلك الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة، «وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (يوسف:٢١).

مؤتمر التعريف بأهل السنة في الشيشان

وفي تلك الأجواء الضبابية التي تخيم على العالم الإسلامي، يُعقد في العاصمة الشيشانية جروزني مؤتمر على مدار ثلاثة أيام، في الفترة من ٢٢ حتى ٢٤ من شهر ذي القعدة ١٤٣٧هـ، تحت عنوان: «من هم أهل السنة والجماعة، بيان وتوصيف لمنهج أهل السنة والجماعة اعتقادًا وفقهًا وسلوكا، وأثر الانحراف عنه على الواقع».

وقد صدر بيان المؤتمر الختامي بهذه الجملة: «أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة والماتريدية في الاعتقاد، وأهل المذاهب الأربعة في الفقه، وأهل التصوف الصافي علمًا وأخلاقًا وتزكية»، بحسب ما جاء في أحد بنود البيان الختامي، وإخراج من خالفهم من دائرة أهل السُنة والجماعة، وهو الهدف الذي أقيم من أجله المؤتمر، كما قرروا أن الشيعة بطوائفها من الأمة، مع ما بين الشيعة وأهل السنة من الاختلاف العقدي والفقهي، وأن الاتجاه السلفي في العقيدة- وهو في ميزان كل عاقل هو الحق والصواب- وعلى ذلك فقد قرروا أنه لا يُمثل أهل السنة والجماعة.

وقد أقيم المؤتمر برعاية الرئيس الشيشاني المعروف بعلاقته بالروس «رمضان قاديروف»، وقد جاء المؤتمر بهذه الجملة: «أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة والماتريدية.. إلخ في التعريف الوارد بالبيان الختامي»، وهم بهذا قد خالفوا السنة، وفرقوا الجماعة، وشتتوا الأمة، وأخرجوا أئمة الإسلام- ممن عاشوا قبل الأشعري والماتريدي؛ كالبخاري، ومسلم، والنسائي، وغيرهم- رحمة الله عليهم أجمعين- من

مُسمَّى أهل السنة والجماعة، ودوَّن هؤلاء المؤتمرون في إثبات أن هؤلاء الأئمة ومن سار على نهجهم أشاعرة أو ماتريدية أو صوفية.

وقد كان تجاهل المؤتمر لعلماء السنة السلفيين في أنحاء العالم مقصودًا، فلو كان المؤتمر يهدف بالفعل إلى توحيد الكلمة، وجمع الشمل لعلماء المسلمين بشتى توجهاتهم، ليخرجوا ببيان يجمع كلمتهم في هذا الوقت الذي تكالب فيه عليهم الرافضة واليهود والنصارى، ولكن كان همهم هو إخراج السلفيين من دائرة أهل السنة والجماعة أكبر من همِّ توحيد صف المسلمين ضد أعدائهم!!

وفي التوصية الثامنة للمؤتمر: يوصي المؤتمرون الحكومات بسن تشريع قوانين تجرم نشر الكراهية، والتحريض على الفتنة، والاحتراب الداخلي، والتعدي على المقدسات!!

وهل هناك ما ينشرُ الكراهية ويحرِّض على الفتنة أكثر من أن توصم المخالف لك من أهل السنة بـ«المتطرف»، وبأن عنده انحرافًا حادًّا وخطيرًا، أو غيرها من العبارات التحريضية؟!

أهل السنة والجماعة مصطلح شرعي وليس سياسيًا

وإذا كان مؤتمر ما سمَّى بالتعريف بمن هم أهل السنة والجماعة، والذي عُقد في الشيشان قد انتهى زمنه، وتفرق جمعه، فلم تنته عبره ومؤشراته.

فقد كشف المؤتمر أن في الأمةَ المسلمة أدواء من داخلها ليست أقل خطورة من أدوائها من خارجها، كما كشف المؤتمر عن خصوم أهل السنة والجماعة المعاصرين في زمن ظنَّ بعض الناس أن الحروب على منهج أهل السنة والجماعة ذكرى وحلقة في التاريخ الماضي ليست إلا مجرد الذكرى.

كما أن أهل السنة والجماعة ليس مصطلحًا سياسيًّا بشريًّا حتى نوسِّعه ونضيقه حسب أهوائنا، وحسب ما تقتضيه المصالح، إنه مصطلح شرعي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وشأن المصطلحات الشرعية أن تُعرَض على الوحيين الكتاب والسنة، وتفهم حسب قواعد اللغة العربية وقواعد علم الأصول، ومقاصد الشارع الحكيم حتى يتقرر معناها.

قال الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ» (رواه أبو داود: ٤٦٠٧ وصححه الألباني).

وقال صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (رواه البخاري: ٤٧٧٦)، وقال صلى الله عليه وسلم: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» (قَالَ الألباني: رَوَاهُ مَالِكٌ بَلاغًا وَالْحَاكِمُ مَوْصُولاً بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

والأحاديث الواردة عن مصطلح الجماعة كثيرة، ومن أشهرها قوله صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» (رواه ابن ماجه: ٣٠٥٦).

يقول الله تعالى: « قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » (يوسف:١٠٨)، فمصطلح أهل السنة والجماعة نبوي تناقله السلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وميزوا به أنفسهم بعد ظهور الأهواء، وبه يظهر بطلان ما قيل من أنه مصطلح محدَث، وكما أظهر الوحيان هذا المصطلح وبيَّنا أولى الناس به، قال تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (آل عمران:٣١).

وقال الله تعالى: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ » (الشورى:٢١)، فكل زيادة في الدين لم يأمر بها الله ورسوله غير مأذون بها ومردودة على صاحبها.

وقد بينت السنة معنى الآية فقال صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». (رواه ابن ماجه: ٤٦)، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم: ١٧١٨).

فأهل السنة والجماعة الذين يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به، ويسلمون لكل ما حكم به، ولا يريدون في دين الله ما لم يشرع، ولا ينقصون مما شرع.

فإن أردنا الحكم على فئة هل هم أهل سنة فلنعرض أصولها على ما تقدم من وجوب الاتباع والتسليم، وحرمة الابتداع، وسيتضح للقاصي والداني مَن هم أهل السنة والجماعة!!

فاللهم اجمع شتات المسلمين، ووحد كلمتهم، وأهلك أعداءهم، وانصر الإسلام والمسلمين، وأعل راية أهل السنة خفاقة عالية، إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

موقف الإسلام من يوم عاشوراء وليلته

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه. وبعد؛ فإن أغلب المسلمين أصبحوا في هذا الزمان لا يعتمدون في أعمالهم على كتاب، أو سنة، أو قول صاحب، وإنما يعتمدون على ما ورثوه فقط عن آبائهم وأجدادهم، فما كان كذلك فهو صحيح، وإن جاءت النصوص بالنهي عنه والتحذير منه، وما كان على خلاف ذلك لم يعبؤوا به ولم يلتفتوا إليه، وإن كان هذا هو العمل الذي كان عليه أشرف المرسلين- صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

إعداد/ **الشيخ محمد حامد الفقي** - رحمه الله -

وقد نشأ ذلك من جهل الناس بدين الله، وإعراضهم عما كان عليه السلف الصالح من خيار هذه الأمة وساداتها، وانكبابهم على أشياء ليست من العلم ولا من الدين في قبيل ولا دبير.

ومن الجهل الشنيع أن يعتمدوا على ما بأيدي العامة من دواوين خطب محشوة بالبدع والأحاديث الموضوعة، قد أغنانا الله- تعالى- بكتب الحديث المعتبرة؛ كالبخاري ومسلم، وما إليهما من الكتب التي هي ثمرة مجهودات عظيمة، صرف فيها الأئمة من أهل العلم وخير هذه الأمة نفيس أوقاتهم وزهرة حياتهم دفاعًا عن سنة خير الخلق، وشفقة بالناس أن يضلوا إذا هم خلطوا الخبيث بالطيب من الأحاديث، فيا لله ما أشد مصيبة المسلمين بتركهم لهذه الكتب القيمة أو اعتمادهم على أمثال ديوان الشرنوبي والسقا وما إليهما!

وإن أعظم ما يفرح به الشيطان هو الجهل بدين الله وعدم معرفة سنن الهدى، فإن ذلك هو السبيل الأعظم الذي تدخل منه البدع الشيطانية والخرافات الشركية في قلوب أولئك الذين يزعمون أنفسهم مسلمين، وما هم بمسلمين؛ بل هم دمامل وفساد في جسم الإسلام الذي يضج ويشكو إلى الله مما يذوق ويعاني من شرورهم وإذاياتهم له ولأهله، وإن هذه المسألة تكاد تكون من أوليات الدين وبدهياته لو علم الناس، ولشيخ الإسلام وحجة الأنام ابن تيمية جواب نفيس على هذه المسألة، لما فيه من الفوائد العظيمة والتحقيق البديع؛ قال- رحمه الله-:

لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا عن أصحابه، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئًا عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا الصحابة ولا التابعين، لا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا في كتب الصحيح ولا السنن ولا المسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث، مثل ما رووا أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد في ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض في ذلك العام، وأمثال ذلك.

ورووا فضائل صلاة يوم عاشوراء، ورووا أن في يوم عاشوراء توبة آدم، واستواء سفينة نوح

على الجودي، ورد يوسف على يعقوب، وإنجاء إبراهيم من النار، وفداء الذبيح بالكبش، ونحو ذلك.

ورووا ذلك في حديث موضوع على النبي- صلى الله عليه وسلم- ورووا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة، ورواية هذا عن النبي- صلى الله عليه وسلم- كذب، ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن محمد المنتشر عن أبيه قال: بلغنا أن من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة، وابراهيم بن المنتشر من أهل الكوفة، وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان: طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت، وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة، واما جهال وأصحاب هوى، وطائفة ناصبة تبغض عليًّا وأصحابه؛ لما جرى من القتال في الفتنة ما جرى، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومُبير»، فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يظهر موالاة أهل البيت والانتصار لهم، وقتل عبيدالله بن زياد الذي جهز السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم إنه أظهر الكذب وادعى النبوة، وأما المبير فهو ابن يوسف الثقفي، وكان منحرفا عن علي وأصحابه، فكان هذا من النواصب، والأول من الروافض، وهذا الرافضي كان أعظم كذبًا وافتراءً وإلحادًا في الدين، فإنه ادعى النبوة، وذاك كان أعظم عقوبة لمن خرج على سلطانه، وانتقامًا لمن اتهم بمعصية أميره عبدالملك بن مروان، وكان في الكوفة بين هؤلاء وهؤلاء فتن وقتال، فلما قُتل الحسين بن علي يوم عاشوراء وقتلته الفئة الباغية الظالمة، وأكرم الله الحسين بالشهادة، كما أكرم من أكرم من أهل بيته، فأكرمه الله بهذه الشهادة التي لحق بها بأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأهان بها من ظلمه واعتدى عليه، وأوجب ذلك شرًّا بين الناس، فصارت طائفة جاهلة ظالمة: إما ملحدة منافقة، واما ضالة غاوية، تظهر موالاته وموالاة أهل بيته، تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة، وتظهر فيه شعار الجاهلية؛ من لطم الخدود، وشق الجيوب، والتعزي بعزاء الجاهلية.

والذي أمر الله ورسوله به في المصيبة إذا كانت جديدة إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع، واذا كان الله- تعالى- قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة، فكيف مع طول الزمان؟

فكان ما زينه الشيطان لأهل الضلال والغي من اتخاذ يوم عاشوراء مأتمًا، وما يصنعون فيه من الندب والنياحة، وانشاد قصائد الحزن، ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير، والصدق منها ليس فيه إلا تجديد الحزن والغضب، واثارة الشحناء والحرب، والقاء الفتن بين أهل الإسلام، والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين، وكثرة الكذب والفتن في الدين، ولم يعرف في طوائف الإسلام أكثر كذبًا وفتنًا ومعاونة لأهل الكفر على أهل الإسلام من هذه الطائفة الضالة الغاوية، فإنهم شر من الخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي- صلى الله عليه وسلم-: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، وهؤلاء اليهود والنصارى على أهل بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأمته، كما أعانوا المشركين من الترك والتتار على ما فعلوه ببغداد وغيرها، من القتل والسبي وخراب الديار، وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام لا يحصى؛ فعارض هؤلاء قوم، إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته، واما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والشر بالشر، والبدعة بالبدعة، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء؛ كالاكتحال والاختضاب، وتوسيع النفقات على العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم، فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسمًا كمواسم الأعياد والأفراح، وأولئك يتخذونه مأتمًا يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنَّة؛ الرافضة الخبثاء وان كان أولئك أسوأ قصدًا، وأعظم جهلاً، وأظهر ظلمًا، لكن الله يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، واياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

مجلة الإصلاح، العدد السادس عشر، محرم ١٣٤٨هـ، ص٣٥

باب التفسير

تفسير سورة الأحقاف

الحلقة الثانية

إعداد:

د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

قال تعالى:

« مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ③ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ④ »

(الأحقاف: ٣-٤).

لكُلِّ مخلوق أجلٌ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَجَلٌ مُسَمًّى» يَعْنى أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعالَى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَجَعَلَ لهَذَا المَخْلُوقِ أجَلاً يَنْتَهِي إلَيْه، كَمَا يَنْتَهي كُلُّ مَخْلُوقٍ إلى أَجَلِه، فَكَمَا أَنَّ الأَفْرَادَ وَالأُمَمَ وَالْجَمَاعَاتِ وَالأجْيَالَ لكُلٍّ مِنْهَا أَجَلٌ تَنْتَهِي إلَيْه، «فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (الأعراف: ٣٤)، فَكَذَلك السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا لَهُنَّ أَجَلٌ، إذَا جَاءَ زَالَت السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ » (الأنبياء: ١٠٤)، وَقَالَ تَعَالَى: « يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ » (إبراهيم: ٤٨)، وَلذلك قال تعالى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ① هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ » (الأنعام: ١-٢).

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً» أَيْ ثُمَّ قَضَى لِكُلٍّ مِنْكُمْ أَجَلاً يَنْتَهِي إلَيْه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ » (ال عمران : ١٤٥)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» وَهُوَ الأَجَلُ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَللدُّنْيَا كُلِّهَا، فَالدُّنْيَا كُلُّهَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ لَهَا أَجَلٌ تَنْتَهِي إلَيْه، فَإِذَا جَاءَ هَذَا الأَجَلُ زَالَت السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ الله يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ» مَا لَمْ يَأْتِ الأَجَلُ، «وَلَئِنْ زَالَتَا» إذا جَاءَ «إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ » (فَاطر: ٤١)، أَيْ لا يُمْسِكُهُمَا أَحَدٌ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَت الشَّمْسُ: «تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ»؟. قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: « وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ » (يس: ٣٨). (صحيح البخاري ٣١٩٩).

ذَمُّ المُعْرِضِينَ عَنْ آيات الله:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ» أَيْ مُدْبِرُونَ، لاَ يُقْبِلُونَ وَلاَ يَقْبَلُونَ، وَلاَ يَهْتَدُونَ

وَلاَ يَتَذَكَّرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ» (الأنبياء: ١-٣).

وَقَالَ تَعَالَى: «وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» (يوسف: ١٠٥).

وَقَالَ تَعَالَى: «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ» (الصافات: ١٢- ١٧).

«ذَلكُمُ اللّه رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ»:

ثُمَّ أَمَرَ اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّه» أَيْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّه، فَالدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ كَمَا سَمَّاهُ اللّه وَرَسُولُهُ:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ». وَقَرَأَ: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (غافر: ٦٠). (أخرجه الترمذي ٣٢٤٧، وصححه الألباني).

«أَرُونِي» أَيْ أَخْبِرُونِي «مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ» وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ، هَلْ يُعْقَلُ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا خَلْقُ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْعَالَمِ؟ فَإِنْ لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهَا أَعَانَتْ إِلَهَ الْعَالَمِ فِي خَلْقِ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْعَالَمِ؟ وَلَمَّا كَانَ صَرِيحُ الْعَقْلِ حَاكِمًا بِأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ إِسْنَادُ خَلْقِ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْعَالَمِ إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْجُزْءُ أَقَلَّ الأَجْزَاءِ، وَلاَ يَجُوزُ أَيْضًا إِسْنَادُ الإِعَانَةِ إِلَيْهَا فِي أَقَلِّ الأَفْعَالِ وَأَذَلِّهَا، فَحِينَئِذٍ صَحَّ أَنَّ الْخَالِقَ الْحَقِيقِيَّ لِهَذَا الْعَالَمِ هُوَ اللّه سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الْمُنْعِمَ الْحَقِيقِيَّ بِجَمِيعِ أَقْسَامِ النِّعَمِ هُوَ اللّه سُبْحَانَهُ، وَالْعِبَادَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الإِتْيَانِ بِأَكْمَلِ وُجُوهِ التَّعْظِيمِ، وَذَلِكَ لاَ يَلِيقُ إِلاَّ بِمَنْ صَدَرَ عَنْهُ أَكْمَلُ وُجُوهِ الإِنْعَامِ، فَلَمَّا كَانَ الْخَالِقُ الْحَقُّ وَالْمُنْعِمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَجَبَ أَنْ لاَ يَجُوزَ الإِتْيَانُ بِالْعِبَادَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ إِلاَّ لَهُ وَلأَجْلِهِ. (التفسير الكبير ٢٨/ ٣ و٤).

قَالَ تَعَالَى: «أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ (٢٣) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٢١- ٢٥).

وَقَالَ تَعَالَى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ» (الحج: ٧٣).

وَقَالَ تَعَالَى: «قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ» (الرعد: ١٦).

وَقَالَ تَعَالَى: «أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ» (النحل: ١٧- ٢٣).

بَقِيَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّا لاَ نَعْبُدُهَا لأَنَّهَا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ، بَلْ إِنَّمَا نَعْبُدُهَا لأَجْلِ أَنَّ الإِلَهَ الْخَالِقَ الْمُنْعِمَ أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهَا! فَعِنْدَ هَذَا ذَكَرَ اللّه تَعَالَى مَا يَجْرِي مَجْرَى الْجَوَابِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، فَقَالَ: «ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

وَتَقْرِيرُ هَذَا الْجَوَابِ: أَنَّ وُرُودَ هَذَا الأَمْرِ لاَ سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلاَّ بِالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، فَنَقُولُ: هَذَا الْوَحْيُ الدَّالُ عَلَى الأَمْرِ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الأَوْثَانِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ أَوْ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ ذَلِكَ فِي الْكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ لَكِنَّهُ مِنْ تَقَابُلِ الْعُلُومِ الْمَنْقُولَةِ عَنْهُمْ، وَالْكُلُّ بَاطِلٌ.

أَمَّا إِثْبَاتُ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَهُوَ مَعْلُومُ الْبُطْلاَنِ، وَأَمَّا إِثْبَاتُهُ بِسَبَبِ اشْتِمَالِ الْكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ، فَهُوَ أَيْضًا بَاطِلٌ، لأَنَّهُ عُلِمَ بِالتَّوَاتُرِ الضَّرُورِيِّ إِطْبَاقُ جَمِيعِ الْكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا».

وَأَمَّا إِثْبَاتُ ذَلِكَ بِالْعُلُومِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ سِوَى مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ فَهَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ، لأَنَّ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ حَاصِلٌ بِأَنَّ أَحَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا دَعَا إِلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ». وَلَمَّا بَطَلَ الْكُلُّ ثَبَتَ أَنَّ الاشْتِغَالَ بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ عَمَلٌ بَاطِلٌ وَقَوْلٌ فَاسِدٌ. (التفسير الكبير ٢٨/ ٣، ٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب العقيدة

مدخل لدراسة العقيدة

إعداد/ **د. صالح الفوزان**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فهذه مباحث في علم التوحيد، وقد راعيت فيه الاختصار مع سهولة العبارة، ومما لا شك فيه أن علم العقيدة الإسلامية هو العلم الأساسي الذي تجدر العناية به تعلمًا وتعليمًا وعملاً بموجبه؛ لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة للعاملين، وخصوصًا وأننا في زمان كثرت فيه التيارات المنحرفة؛ تيار الإلحاد، وتيار التصوف والرهبنة، وتيار القبورية الوثنية، وتيار البدع المخالفة للهدي النبوي، وكلها تيارات خطيرة ما لم يكن المسلم مسلحًا بسلاح العقيدة الصحيحة المرتكزة على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، فإنه حري أن تجرفه تلك التيارات المضلة؛ وهذا مما يستدعي العناية التامة بتعليم العقيدة الصحيحة لأبناء المسلمين من مصادرها الأصيلة.

بيان العقيدة وأهميتها:

العقيدة لغة:

مأخوذة من العقد وهو ربط الشيء، واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير. والعقيدة: ما يدين به الإنسان، يقال: له عقيدة حسنة، أي: سالمةٌ من الشك. والعقيدةُ عمل قلبي، وهي إيمانُ القلب بالشيء وتصديقه به.

والعقيدةُ شرعًا:

هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وتُسمَّى هذه أركانُ الإيمان.

والشريعة تنقسم إلى قسمين: اعتقاديات وعمليات:

فالاعتقاديات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل، مثل اعتقاد ربوبية الله ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة، وتُسمَّى أصلية.

والعمليات: هي ما يتعلق بكيفية العمل مثل الصلاة والزكاة والصوم وسائر الأحكام العملية، وتسمى فرعية؛ لأنها تبنى على تلك صحة وفسادًا.

فالعقيدةُ الصحيحةُ هي الأساسُ الذي يقوم عليه الدين وتَصحُّ معه الأعمال، كما قال تعالى: « فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا » (الكهف: ١١٠).

وقال تعالى: « وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (الزمر: ٦٥).

وقال تعالى: « فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ » (الزمر: ٢، ٣).

فدلَت هذه الآيات الكريمة، وما جاء بمعناها، وهو كثير، على أن الأعمال لا تُقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثَمَّ كان اهتمام الرسل- صلواتُ الله وسلامه عليهم- بإصلاح العقيدة

أولاً، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، كما قال تعالى:

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (النحل:٣٦).

وكلُّ رسول يقول أول ما يخاطب قومه:

« اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » (الأعراف: ٥٩) قالها نوح وهود وصالح وشعيب، وسائر الأنبياء لقومهم.

وقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساسُ الذي يقوم عليه بناءُ الدين. وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدءون بالدعوة إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين.

مصادر العقيدة ومنهج السلف في تلقيها:

العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثَمَّ فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلمُ بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقِّي العقيدة مقصورًا على الكتاب والسنة.

فما دلّ عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنوا به، واعتقدوه وعملوا به. وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله نفَوْهُ عن الله تعالى ورفضوه؛ ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة؛ لأن الله تكفّل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد واتحاد المنهج، قال تعالى: « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » (آل عمران:١٠٣).

وقال تعالى: « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ » (طه:١٢٣).

ولذلك سُمُّوا بالفرقة الناجية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بالنجاة حين أخبر بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ولما سئل عن هذه الواحدة قال: (هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) (الحديث رواه الإمام أحمد).

وقد وقع مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فعندما بنى بعض الناس عقيدتهم على غير الكتاب والسنة، من علم الكلام، وقواعد المنطق الموروثَيْن عن فلاسفة اليونان؛ حصل الانحراف والتفرق في الاعتقاد مما نتج عنه اختلافُ الكلمة، وتفرُّقُ الجماعة، وتصدع بناء المجتمع الإسلامي.

بيان الانحراف عن العقيدة وسبل التوقي منه:

الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ حتى تضيق عليه حياته ثم يحاول التخلص من هذا الضيق بإنهاء حياته ولو بالانتحار، كما هو الواقع من كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة. والمجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي يفقد كل مقومات الحياة السعيدة؛ وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيرًا ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة؛ لأن هذه المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد؛ للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة؛ قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا » (المؤمنون:٥١).

وقال تعالى: « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ » (سبأ:١٠-١٣).

فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية؛ فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار؛ كما هو المشاهد اليومَ في الدول الكافرة التي تملكُ مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة.

والانحراف عن العقيدة الصحيحة
له أسباب تجب معرفتها، من أهمها:

١- الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى ينشأ جيلٌ لا يعرفُ تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلاً، والباطل

حقًّا، كما قالَ عمرُ بن الخطاب- رضيِ الله عنه- : «إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ الجاهلية».

٢- التَّعصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلاً، وترك ما خالفه وإن كان حقًّا؛ كما قال الله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » (البقرة:١٧٠).

٣- التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها، كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية ومعتزلة، وأشاعرة وصوفية، وغيرهم، حيثُ قلدوا من قبلهم من أئمة الضلال؛ فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

٤- الغُلُو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم؛ بحيث يُعتقد فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع، ودفع الضر، واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله، والتقرب إلى أضرحتم بالذبائح والنذور، والدعاء والاستغاثة وطلب المدد، كما حصل من قوم نوح في حق الصالحين حين قالوا: « وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا » (نوح:٢٣).

وكما هُوَ الحاصلُ من عبَّاد القُبور اليومَ في كثير من الأمصار.

٥- الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية؛ حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يُعظمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده، كما قال قارون من قبلُ: « قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي » (القصص:٧٨) وكما يقول الإنسان «هَٰذَا لِي» (فصلت:٥٠)، «إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ» (الزمر:٤٩).

ولم يتفكروا وينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات، وأودعها هذه الخصائص الباهرة، وأوجد البشر وأعطاهُ المقدرةَ على استخراج هذه الخصائص، والانتفاع بها « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » (الصافات:٩٦).

« أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ » (الأعراف:١٨٥).

« اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » (إبراهيم:٣٢-٣٤).

٦- أصبح البيتُ في الغالب خاليًا من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (أخرجه الشيخان) فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل.

٧- إحجامُ وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتهما، فقد أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا، أو لا تهتم به أصلاً، وأصبحت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف، أو تعنى بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يُقَوِّمُ الأخلاق، ويزرع العقيدة الصحيحة، ويقاوم التيارات المنحرفة؛ حتى ينشأ جيلٌ أعزلُ أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها.

وسبل التوقِّي في هذا الانحراف تتلخص فيما يلي:

١- الرجوع إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتلقِّي الاعتقاد الصحيح منهما، كما كان السلف الصالح يستمدون عقيدتهم منهما، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شبههم للرد عليها والتحذير منها؛ لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

٢- العناية بتدريس العقيدة الصحيحة- عقيدة السلف الصالح- في مختلف المراحل الدراسية، وإعطاؤها الحصص الكافية من المنهج، والاهتمام البالغ في تدقيق الامتحانات في هذه المادة.

٣- أن تُقرر دراسةُ الكُتب السَّلفية الصافية، ويبتعد عن كتب الفرقِ المنحرفة، كالصوفية والمبتدعة، والجهمية والمعتزلة، والأشاعرة والماتوريدية، وغيرهم إلا من باب معرفتها لرد ما فيها من الباطل والتحذير منها.

٤- قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف، ويردون ضلالات المنحرفين عنها.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

القصة فى كتاب الله

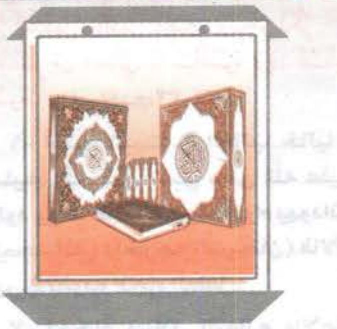

لا تحزن إن الله معنا

✍ إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فنحن اليوم مع حدث من أحداث السيرة النبوية العطرة سجَّله القرآن الكريم، ومعالجة القرآن لأحداث السيرة توثيق وتوجيه، وتربية وهداية، وإرشاد وتذكرة مستمرة، كلما تلونا القرآن وتعلمنا حقائق تاريخية موثقة نستخلص منها حقائق إيمانية وفوائد أخلاقية سلوكية نحن في أمسِّ الحاجة إليها، والحديث الذي نحن بصدد الحديث عنه اليوم من القرآن أولاً:

قول الحق تبارك وتعالى: « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (التوبة:٤٠).

ثانيًا: توثيق الحديث من السنة النبوية الصحيحة:

أ- جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه حدثه قال: « نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما »؟ متفق عليه.

ب- وفي رواية البخاري: قال أبو بكر رضي الله عنه: « قلت: يا رسول الله وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟ ». (البخاري: ٣٦٥٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « .. ثمَّ لحق رَسُول الله- صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- وَأَبُو بكر بغَار في جبل ثَوْر، فَكَمَنَا فيه ثَلَاثَ لَيَال، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عبد الله بن أبي بكر وَهُوَ غُلَام شَاب ثقف لقن فيدلج من عِنْدِهِمَا بسحر، فَيُصْبِح مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّة كبائت، فَلاَ يسمع أمرا يَكتادان به إلاَّ وَعاه حَتَّى يأتيهما بخَبَر ذَلك حِين يَخْتَلِطَ الظلام». (جزء من حَديث طَويل رواه البخاري تحت عنوان: هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة).

ونبدأ مستعينين بالله أولاً: مُدارسة النص القرآني بصورة مختصرة:

أولاً: « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ » (التوبة:٤٠):

هذا خطاب فيه نوع من اللوم والعتاب للمؤمنين بسبب تباطؤ البعض في الاستعداد لغزوة تبوك وفي الآية السابقة على هذه الآية يُبرز هذا الاستنكار بصورة أوضح، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (التوبة: ٣٨- ٣٩).

تأمل لهجة العتاب الشديدة التي وصلت إلى حد التهديد بالاستبدال، فالله سبحانه

على كل شيء قدير، فهو سبحانه قادر إذا شاء أن يستبدل أهل السماوات والأرض بغيرهم لفعل، وما ذلك على الله بعزيز، ثم تأتي الآية اللاحقة وتحثهم على الخروج إلى الجهاد والمبادرة في ذلك بالمال والنفس وفي جميع الأحوال، فيقول سبحانه: «انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» (التوبة:٤١).

هكذا يرشد الله المؤمنين على خير الدنيا والآخرة بالجهاد في سبيله، ونحن نلاحظ في هذا السياق البيان الواضح لجميع المؤمنين أن الله تعالى هو المتكفل بنصرة رسوله ونصرة دينه، فهو الذي نصر رسوله في أصعب المواقف حين أخرجه الذين كفروا من مكة بعد أن تآمروا على قتله ووقفوا أمام داره ينتظرون خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل، هكذا سوَّل لهم شيطانهم.

لكن الله تعالى أخرج النبي من بين أيدهم وأعمى أعينهم عنه بعد أن عميت قلوبهم عن الحق الذي جاء به، ثم نصره مرة أخرى عندما وقف المشركون أمام باب الغار الذي كان فيه هو وصاحبه فصرفهم عن رؤيتهما، وبهذا الوضوح يذكر الله المؤمنين أن الله مع رسوله ناصره ومؤيده بكم أو بغيركم؛ لأن الله له جنود السماوات والأرض ينصر من يشاء من عباده وقتما يشاء وكيفما شاء، وما دعوته لكم للجهاد إلا لخيركم أنتم وتحقيق عزكم في الدنيا والآخرة، فإن أبيتهم أتى بقوم غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (المائدة:٥٤).

ب- «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (التوبة:٤٠).

نظر أبو بكر رضي الله عنه فوجد المشركين أمامه، فقال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ «لا تحزن إن الله معنا». في الآية الكريمة منقبة لأبي بكر لا تدانيها منقبة أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلهم كانت لهم صحبة النبي، لكن لم تكن صحبة النبي في الغار إلا لأبي بكر.

قال ابن القيم رحمه الله: «كانت تحفة ثاني اثنين مدَّخرة للصديق دون غيره، فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد والصحبة وفي الخلافة». اهـ.

قال القرطبي رحمه الله: «ولهذا قال بعض العلماء في قوله: «ثاني اثنين» ما يدل على أن الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه؛ لأن الخليفة لا يكون أبدًا إلا ثانيًا». اهـ.

قلتُ: ولذلك استدل عمر رضي الله عنه يوم السقيفة بهذه المنقبة على أحقية أبي بكر بالخلافة، أو كانت مما استدل به بجانب مناقب أخرى لأبي بكر، والله أعلم.

في قوله تعالى: «إن الله معنا» قال ابن العربي المالكي الأندلسي رحمه الله نقلاً عن بعض أهل العلم: قال موسى عليه السلام: «قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» (الشعراء:٦٢)، وقال محمد صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (التوبة:٤٠)، فلما كان الله مع موسى وحده ارتد قومه من بعده وعبدوا العجل من دون الله، ولما قال لأبي بكر: «لا تحزن إن الله معنا» بقي أبو بكر مهتديًا موحدًا عالمًا جازمًا قائمًا بالأمر ولم يتطرق إليه إخلال». اهـ.

لذا ذكر ابن العربي في كتابه المفيد: «العواصم من القواصم» أن من القواصم: موت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر (عاصمة)، وهي خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث عصم الله سبحانه الأمة من الخلاف والردة بخلافة أبي بكر، وهذا لا مرية فيه، فيكفي موقف أبي بكر بتوفيق الله يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم وثباته يوم اضطرب الناس ومنهم عمر، فيردهم أبو بكر إلى الصواب بكلماته الصادقة الواثقة وعظمة استشهاده بآيات الله في مواضعها الصحيحة، وموقفه في حرب المرتدين وغير ذلك.

ولا ينكر فضل أبي بكر إلا أهل الزيغ والضلال من الروافض والشيعة، ومنهم من وصل به الغلو والشطط إلى إنكار أن تكون (ثاني اثنين) تعود على أبي بكر رضي الله عنه، وهذا كمن أنكر الشمس في رابعة النهار؛ لأنه ينكر ما أجمعت عليه الأمة حتى من الروافض ممن لم يستطع إنكار ذلك لكنه أراد أن يطعن في إيمان أبي بكر من خلال قوله: «لا تحزن».

وقالوا: حزن أبي بكر دليل على ضعف إيمانه،

وهذا مما لا شك جهل باللغة والتاريخ وبالحقيقة بل جهل بالقرآن ذاته، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحزن لإعراض المشركين في دعوته، فنهاه الله عن ذلك وأمره بالصبر في قوله تعالى: « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ » (النحل:١٢٧)، ومثل هذا كثير في القرآن فهل يقول مسلم على وجه الأرض أن الرسول في إيمانه ضعف بسبب حزنه على إعراض المشركين عن دعوته، أم يقول إن هذا من الحزن الممدوح في مصلحة الدعوة وحمل هم الإسلام؟!

كذلك كان حزن أبي بكر ليس على دنيا تفوته بل كان خوفًا وحرصًا على دين الله المتمثل في الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن ماذا نقول لأهل الحقد والشنآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ج- «وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (التوبة:٤٠)، هذا بيان للناس ولينذروا به وليعلموا أن كلمة الكفر والشرك يتبعها من مكر وتدبير وتخطيط وفعل دائمًا في بوار وكذلك يجعلها الله، أما كلمة التوحيد وما يتبعها من عمل وصدق وإخلاص ومتابعة، فهي العليا دائمًا لأنها دين الله وأمر الله وشرعه، والله سبحانه غالب لا يُقهر وعزيز لا يهزم وحكيم في أقواله وأحكامه وأفعاله، وقد وعد الله رسوله والمؤمنين معه بالنصر والتمكين، وقد حقق لهم ما وعد، فبعد سنوات معدودات على أصابع اليد في أقل من عشر سنين من خروج النبي من مكة، مطارد هو وأصحابه أعاده الله إلى مكة فاتحًا منتصرًا في جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، ثم العام التالي لذلك دكّت سنابل خيل المسلمين أبواب الروم في تبوك، ومن قبل نصره الله على اليهود في قريظة.

٥- نصرة الدين مسئولية الجميع الأمير والأجير، الصغير والكبير، الرجل والمرأة، الشباب والشابة، كلٌ بحسب قدرته يعمل لنصرة دين الله، وبني قينقاع وبني النضير حتى دانت له الجزيرة العربية وما حولها، وأرسل رسائل إلى ملوك الأرض قاطبة يدعوهم إلى الإسلام، وهذه الانتصارات في هذه المدة الوجيزة من الزمن لا يقدر عليها إلا رب القوى والقدر: « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » (التوبة:٤٠).

ثانيا: بعض الدروس المستفادة:

١- صحة التوكل مع صدق اليقين:

لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم خصلة من خصال الخير يستطيعها إلا فعلها مع يقينه أن الله معه معية خاصة وليست معية عامة، فإن الله معنا جميعًا بعلمه وإحاطته، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: «إن الله معنا» بالمعنى الخاص أي: ناصرنا وكافينا، ومع ذلك أخذ بالأسباب التي يستطيعها، فكافأه الله بحفظه بما لا يستطيعه.

ومن هنا نعلم أن التوكل الصحيح لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب الممكنة، لكن الإشكال هو في الاعتماد على الأسباب من دون الله، ولهذا قال العلماء: الالتفات إلى الأسباب من دون الله قدح في التوحيد، والإعراض عن الأسباب قدح في الشرع، والصواب هو الأخذ بالأسباب والتوكل على رب الأسباب، كما فعل النبي المختار صلى الله عليه وسلم.

٤- إذا كان الله قد عاتب المجتمع المسلم بكامله في المدينة وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم بسبب تباطؤ البعض، وقال لهم: «اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ» (التوبة:٣٨)؟ فماذا يقول القرآن للمسلمين اليوم؟ وإذا كان قال لهم: «أرضيتم بالحياة الدنيا» فماذا يقول للمتقاعسين عن نصرة دين الله اليوم؟

نعم لقد صدق رسول الله في وصف الأمة اليوم: «ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهانة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن». قال قائل: يا رسول الله، ما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». أخرجه أبو داود وصححه العلامة الألباني.

٣- منزلة علي رضي الله عنه وشجاعته وفدائيته وشجاعة عبد الله بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر وعامر بن فهيرة، ومشاركة آل أبي بكر في الهجرة وفضلهم.

٤- على المسلمين أن يتعلموا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينفعهم في نصرة دينهم في كل وقت وليس مناسبات معينة وينتهي الأمر، بل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في الاعتصام بالله دون سواه.

وعلى المسلمين بذل ما يستطيعون من أسباب في نصرة دين الله، عندها يمنحهم الله ما لا يستطيعون، فمن يصدق الله يصدقه، فاللهم اجعلنا من أهل الصدق واليقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

عام جديد ودعوة التوحيد

إعداد/ **د. مرزوق محمد مرزوق**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد: يحل بنا عام جديد واليوم منه على العمل شهيد، ينادي: اغتنمني فإني إلى يوم القيامة لا أعود، وبداية الطريق وأول النجاح وسبيل السعادة هو تحقيق التوحيد الذي هو حق الله العبيد، وهو حاكم لكل معتقدات العبد وتصرفاته، ومنه أن تؤمن أن الله علام الغيوب، مطلع على سرائر القلوب، بصير بسرائر النيات وخفاء الطويات الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل وخلص عن شوائب الرياء والشركيات، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله بسنده في كتاب الرقاق.

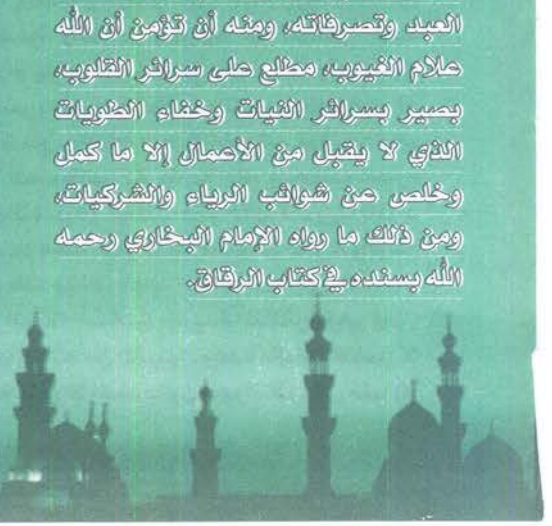

نص الحديث:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ".
أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧) من طريقين عن سلمة بن كهيل، والسنن الكبرى للنسائي قوله: (والذين هم يراءون) سنن ابن ماجه برقم (٤٢٠٧).

شرح الحديث:

قوله- صلى الله عليه وسلم-: "من سمَّعَ سمَّعَ الله به": "سمَّعَ" بتشديد الميم، ومعناه: أظْهَرَ عمَلَهُ للنَّاس رِياءً." سمَّعَ الله به" أي: فضحه يومَ القيامة. والسمعة تكون في القول كما في (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/٦٠٧). وقال ابن حجر: وقال ابن عبد السلام: السمعة أن يخفي عمله ثم يحدث به الناس... وقال الخطابي: المعنى مَنْ عمل عملاً على غير إخلاص، يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزيَ على ذلك بأن يُشهِّر الله به ويفضحه ويُظهر ما كان يُبطنه، وقيل: مَنْ قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإنَّ الله يجعله حديثاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة.

وقيل: المراد: مَنْ قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليُعَظِّموه وتعلو منزلته عندهم، حصل له ما قصد، وكان ذلك جزاؤه على عمله، ولا يُثاب عليه في الآخرة.

وقيل: المعنى: مَنْ سَمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وسمَّعَه المكروه. وقيل معنى سمَّع الله به شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة. فتح الباري(١١/٣٤٤-٣٤٥). (راجع: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١١٦).

وفي تعليقه على الحديث ضمن شرحه لرياض الصالحين يقول الشيخ ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٦/٣٥١): "يعني من قال قولاً يتعبد به الله ورفع صوته بذلك حتى يسمعه الناس ويقولون فلان كثير الذكر كثير القراءة، وما أشبه ذلك فإن هذا قد سمع عباد الله يرائي بذلك نسأل الله العافية.

سمع الله به: أي فضحه وكشف أمره وبين عيبه للناس وتبين لهم أنه مُراءٍ، والحديث لم يقيد هل هو في الدنيا أو في الآخرة فيمكن أن يسمع الله به في الدنيا فيكشف عيبه عند الناس ويمكن أن يكون ذلك في الآخرة وهو أشد والعياذ بالله وأخزى كما قال الله تعالى: (وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) (فصلت: ١٦).

وكذلك من راءى راءى الله به، يعني من عمل عملاً ليراه الناس ويمدحوه عليه فإن الله تعالى يرائي به ويبين عيبه للناس ويفضحه، والعياذ بالله، حتى يتبين أنه يرائي، وفي هذا الحديث التحذير الشديد من الرياء، وأن المرائي مهما كان ومهما اختفى لابد أن يتبين والعياذ بالله لأن الله

تعالى تكفل بهذا.

وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ":

الرياء في اللغة مأخوذ من مادة رأى التي تدل- كما يقول ابن فارس في مقاييس اللغة (٢/٤٧٢-٤٧٣)- على نظر وإبصار بعين أو بصيرة،....، وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس.

وفي الاصطلاح: إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى، كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله، فيحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء. (كما في الزواجر عن اقتراف الكبائر:١/٤٣)، وينظر: فتح الباري(١١/٣٤٤).

وعليه فإن المعنى العام للحديث: من أظهر عمله للناس سماعًا أو رؤية رغبة في مدحهم عاقبه الله بنقيض قصده وفضحه من جنس ما عمل سماعًا أو رؤية.

مما يستفاد من الحديث:

أولاً: منافاة الرياء لكمال التوحيد:

لا شك أنه مناف لكمال التوحيد لذا فإن أضرَّ شيء على العبد، أن يعمل عملاً، أو يقول قولاً، لا يريد به وجه الله، وكما أفاد بعض الصالحين يصف ذلك: «قول جميل ظاهره، قبيح باطنه، يسرّ غير ما يعلن، ويظهر خلاف ما يبطن، يسبح ويهلل، ويقرأ القرآن، يخطب ويعلم ويقوم الليل والناس نيام، وقلبه في الحقيقة مقفول، وبغير الله مشغول، فحسبه من الخير ثناء الناس عليه، واستمالة قلوبهم إليه، إذا قرأ جوَّد، وإذا وعظ بكى، وإذا خطب أو درس لم يلحن، وجاء بالعجب العجاب، فكان بذلك كالخادع المكار المزور الغرار، يقول بفيه ما ليس في قلبه، ويرائي الناس بما يعمله لربه".

وبهذا الحديث وأمثاله يحذرنا النبي-صلى الله عليه وسلم- من الرياء والسمعة وأن يعمل المسلم عملاً يبتغي به الشهرة وثناء الناس عليه وربما إذا خلا بنفسه ارتكب العظائم، واقترف الجرائم وحاله كما قال الله: « وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » النساء:١٤٢-١٤٣.

أو كما قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا » النساء:٣٨.

والآيات في مثل هذا لا يحصيها المقال وكذلك الأحاديث بخلاف حديث ابن عباس الذي بين أيدينا، وكذلك حديث أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه- "أن رجلاً أعرابياً أتى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله" متفق عليه.

ثانيًا: أن الرياء شهوة خفية:

ومن شديد خطره أنه شهوة خفية يتسلل إلى النفس من حيث لا يشعر صاحبه كما أفاد بعض السلف: «ولأن الرياء شهوة خفية فقد يعجز عن الوقوف على غوائله العلماء فضلاً عن عامة العباد والأتقياء، وإنما يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها، وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فسارعت إلى إظهار الطاعة، وتوصلت إلى اطلاع الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء، وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام، وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه، وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل غاية الإكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس، وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين، وانقادوا له في أغراضه موقرين وهو يرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزييناً للعباد وتصنعاً للخلق وفرحاً بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا

المقربون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة.

ثالثًا: حكم الرياء

والرياء شرك أصغر وذكره الذهبي ضمن الكبائر، وذكر أدلة ذلك من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وعده ابن حجر الهيتمي الكبيرة الثانية بعد الشرك بالله، وقال: شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة، ومن ثم كان الرياء من كبائر الكبائر المهلكة ولذلك سماه الرسول-صلى الله عليه وسلم-: "الشرك الأصغر" كما في صحيح الجامع (١٥٥٥)، وينظر: الزواجر (٤٤/٢)، الكبائر (ص١٥٤).

رابعًا: أقبح الرياء:

هذا وإن كان الرياء يقع أحيانًا بأعمال ليست من جملة الطاعات كالرياء بخفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليَسْتَدلَّ بذَلكَ عَلَى أَنَّهُ مُوَاظِبٌ عَلَى الصَّوْم وأَن وقَار الشَرع هو الذي خفض من صوته أو ضَعف الجوع هو الذي ضَعف من قوته أو بإظهار النُّحُول وَالصَّفَار ليُوهمَ بذَلكَ شدَّةَ الاجْتهَاد وَعظَمَ الحزن على أَمر الدين وغَلبة خوف الآخرة ومنه الرياء بالهيئة والزي.

فإن أقبح أنواع الرياء ما تعلق بأصل الإيمان وهو شأن المنافقين، يلي ذلك المراءاة بأصول العبادات الواجبة، كأن يعتاد تركها في الخلوة، ويفعلها في الملأ خوف المذمة، وهذا يؤدي إلى أعلى أنواع المقت، يلي ذلك المراءاة بالنوافل التي يفعلها المرائي باعتياد أمام الناس ويرغب عنها في الخلوة، ويلي ذلك في القبح المراءاة بأوصاف العبادات كتحسنها وإظهار الخشوع فيها في الملأ والاقتصار في الخلوة على أدنى درجاته. راجع: الزواجر لابن حجر (٤٣/١-٤٦).

معالجة الرياء:

لا يستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات، ويكون ذلك بتذكره تعرض المرائي للمقت عند الله يوم القيامة وخيبته- في أحوج أوقاته-إلى أعماله، وعندئذ تثور عنده كراهة للرياء تقابل تلك الشهوة؛ إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم، الشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع -لا محالة- أقواهما، ويتضح من ذلك أنه لا بد في رد الرياء الذي خطر أثناء العبادة من المعرفة والكراهة والإباء.

ومن الناحية العملية فإن دفع الرياء يستلزم من المرء أن يعود نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم الله ولا تنازعه نفسه بطلب علم غيره الله به، وهذا وإن كان يشق في البداية إلا أنه يهون بالصبر عليه وبتواصل ألطاف الله -عز وجل- وما يمد به عباده من التأييد والتشديد. (ينظر الزواجر لابن حجر(٤٧/١)، و الفوائد لابن القيم (٢٢٦)، نضرة النعيم (٤٥٦٧/١٠).

ومن معالجته الاطلاع على أقوال السلف في ذلك:

قال الفضيل بن عياض: أدركنا أناسًا يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون.

- أعربنا في القول.. وأخللنا في العمل.. حتى أصبح إخلاصنا يحتاج إلى إخلاص..

- قال أبو عثمان المغربي: الإخلاص.. نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

- قيل في تعريف الإخلاص: أن تكون حركة العبد في سرّه وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه شيء، لا نفس ولا هوى ولا دنيا.

- متى صحَ منك الود فالكل هيّن... وكل الذي فوق التراب تراب

- قيل لأحد السلف: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟

قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق.

- قالت رقية العابدة: تفقهوا في مذاهب الإخلاص.

- كان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

- كان ابن أبي ليلى إذا دخل أحد وهو يصلي اضطجع على فراشه.

- عن محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل.

- وعن ابن عائشة قال: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين.

- قالت سرية الربيع بن خثيم: كانت أعمال الربيع سرًا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف.. فيغطيه بثوبه.

- قال سفيان الثوري: البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله وواحد لله فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير.

- من شدة إخلاصهم رحمهم الله تعالى -

- كان أحد السلف إذا وعظ وتأثر.. خاف من الرياء فيمسح وجهه ويقول: ما أشد الزكام!!.

- قال ابن الجوزي: كان ابن سيرين يتحدث بالنهار ويضحك، فإذا جاء الليل فكأنما قتل أهل القرية.

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا
الليل هزتني إليك المضاجع

- قال الحسن البصري: إن كان الرجل ليجلس بالمجلس فتجيئه عبرته فيردَها، فإذا خشي أن تسبقه قام.

- عن عاصم قال: كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجاً.. ولو جُعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله.

- يقول محمد بن واسع: لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته في وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته.. ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه.

- وقال أيضا: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم.

- قال الشافعي: وددت أن الخلق تعلموا هذا- يقصد علمه- على أن لا ينسب إليَ حرف منه.

- قال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله أحد أحب الشهرة.

- قال عبد الله بن داود: كانوا يستحبَون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح، لا تعلم به زوجته ولا غيرها.

- كان إبراهيم النخعي: لا يجلس إلى السارية في المسجد.. توقيا للشهرة.

- اشتهر إبراهيم بن أدهم ببلد فقيل: هو في البستان الفلاني فدخل الناس يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم.. فجعل يطوف معهم ويقول: أين إبراهيم بن أدهم؟!.

- كان ابن محيريز يقول: اللهم إني أسألك ذكراً خاملاً.

- دخل ابن محيريز حانوتاً وهو يريد أن يشتري ثوباً.. فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز فأحسن بيعه.. فغضب ابن محيريز وخرج وقال: إنما نشتري بأموالنا لسنا نشتري بديننا.

وَقَالَ الضحاك: لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ هَذَا لوَجْه اللَّه وَلوَجْهكَ وَلاَ يَقُولَنَّ هَذَا للَّه وَللرَّحم فإنَ اللَّه تعالى لا شريك له.

وضرب عمر رجلاً بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل أدعها لله ولك. فقال له عمر: ما صنعت شيئاً إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده. فقال: ودعتها لله وحده. فقال: فنعم إذن.

وقال الحسن: لقد صحبت أقواماً إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وان كان أحدهم ليمر فيرى الأذى في الطريق، فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة.

ويقال: إن المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي! يا غادر! يا خاسر! يا فاجر! اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا.

وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه.

وقال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي يستهزئ بي.

وقال مالك بن دينار الفراء: ثلاثةٌ قراء الرحمن، وقراء الدنيا، وقراء الملوك، وأن محمد بن واسع من قراء الرحمن.

وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من سمتك بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين.

(ينظر: نزهة الفضلاء(١/٣٥٧)، ملتقى أهل الحديث- ٥ (٢١/٧١)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/٤٥٦٥).

والحمد لله رب العالمين.

درر البحار فى تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

اعداد/ **على حشيش**

الحلقة (٥١)

٢٦٣- **«مَن صام آخر يومٍ مِن ذِي الحجةِ وأولَ يومٍ من المحرمِ فقد خَتَمَ السَّنَةَ الماضيةَ، وافتتحَ السنةَ المستقبلةَ بصومٍ، جَعَلَ الله له كفارةَ خمسين سنةٍ».**

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٨/٢) من حديث أحمد بن عبد الله الهروي عن وهب بن وهب عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعًا، ثم قال: «الهروي هو الجويباري ووهب كذبان». اهـ. وأورد هذا الحديث السيوطي في «اللآلئ» (١٠٨/٢)، وأقر ما قاله ابن الجوزي، وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤٢١/١٠٦/١): «الجويباري ممن يضرب المثلُ بكذبه». ويقال الجوباري، وقال النسائي والدارقطني: كذاب، وقال ابن عدي: كان يضع الحديث، وقال ابن حبان: «دجال من الدجاجلة».

أما وهب فقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٤٣٤/٣٥٣/٤): وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود أبو البحتري القرشي المدني القاضي لكنه متهم في الحديث، قال يحيى بن معين: كان يكذب عدو الله، وقال عثمان بن أبي شيبة: أرى يبعث يوم القيامة دجالاً، توفي سنة مائتين، وقال أحمد: كان يضع الحديث وضعًا فيما يروي، وقال البخاري: سكتوا عنه وخرَّج هذه الأقوال ابن عدي في «الكامل» (٦٣/٧) (١٩٩٠/١) وأقرها ثم ختم ترجمته فقال: «هو ممَّن يضع الحديث». اهـ.

٢٦٤- **«مَن حفظ عن أمتي أربعينَ حديثًا بما ينفعُها الله به بعثهُ يومَ القيامةِ فقيهًا عالِمًا».**

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦٦/٧) من حديث أبي البحتري عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعًا وعلته أبو البحتري كان يكذب ويضع الحديث كما بينا آنفًا.

٢٦٥- **«مَن امْتَشَطَ قائمًا رَكِبَهُ الدَّيْنُ».**

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٧/١٧٨/١) من حديث عائشة مرفوعًا وآفته الهروي الجويباري وأبو البحتري وهما كذَّابان كما بيَّنا آنفًا.

٢٦٦- **«أفضلُ الأعمالِ مَا أُكْرِهَتْ عليه النُّفوسُ».**

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٦١/٤)، وكرره (٢٨٠/٤) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لا أصل له مرفوعًا». اهـ.

٢٦٧- «مَن صامَ سبعةَ أيامٍ مِن أولِ المحرمِ بَنَى الله له قبةً في الهواءِ مَيْلاً في ميلٍ لها أربعةُ أبوابٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٩/٢) من حديث موسى الطويل عن أنس بن مالك مرفوعًا وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نقل عن ابن حبان قوله: «موسى الطويل يروي عن أنس أشياء موضوعة لا يحل كتبها إلا على التعجب».

قلتُ: قال ابن حبان في «المجروحين» (٣٤٣/٢): «موسى الطويل شيخ كان يزعم أنه سمع أنس بن مالك روى عن أنس أشياء موضوعة كان يضعها أو وضعت له فحدث بها لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

٢٦٨- «مَن أفطر على تمرٍ زِيدَ في صلاته أربعمائة صلاةٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٥١/٦) (١٨٣٥/٢١٤) من حديث موسى الطويل عن أنس مرفوعًا، وأورده الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٤٣/٢) وقال: «روى موسى الطويل عن أنس نسخة موضوعة مثل هذا الحديث أكره ذكرها لشهرتها عند من هذا الشأن صناعته». اهـ.

٢٦٩- «ما مِن عبدٍ يبكي يومَ قَتْلِ الحسين، يعني: يومَ عاشوراءَ، إلاَّ كانَ يومَ القيامةِ معَ أولي العزمِ من الرسلِ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٤٤٠)، قال في الذيل: موضوع، ثم قال الشوكاني: وكذا ما روى: أنَّ البكاءَ يوم عاشوراءَ نورٌ تامٌ يومُ القيامةِ. هو موضوع. وضعته الرافضة. اهـ.

قلتُ: الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شر الضعيف وأقبحه وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه. قاله السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١).

٢٧٠- «اللهم إنَّك آخرَجتني مِن أحبِّ البلادِ إليَّ فاسكنيَّ أحبَّ البلادِ إليكَ، فأسكنهُ اللهُ المدينةَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٣) من حديث سعد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبي هريرة مرفوعًا وقال: «رواته مدنيون من بيت أبي سعيد المقبري». اهـ.

فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» فقال: «لكنه موضوع فقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله مكة وسعد ليس بثقة». اهـ. وقال الذهبي في «الميزان» (٣١١٠/١٢٠/٢): بعد قول ابن عدي: سعد عامة ما يرويه لا يتابع عليه. قال: «لأن الكل عند أخيه عبد الله؛ وعبد الله ساقط بمرة». اهـ.

منبر الحرمين

التفكر في آيات الله: الشمسُ نموذجًا

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن نبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فاتَّقوا الله- عباد الله- حقَّ التقوى، وراقِبُوه في السرِّ والنجوى.

إعداد/ **د. عبد المحسن بن محمد القاسم**
إمام المسجد النبوي

أيها المسلمون:

أحسنُ ما أُنفقَت فيه الأنفاسُ هو التفكُّرُ في آيات اللهِ وعجائبِ صُنعه، والانتقالُ منها إلى تعلُّق القلبَ والهمَّةَ به دون شَيء من مخلُوقاته.

وآياتُ الربِّ هي دلائلُه وبراهينُه التي بها يعرفُ العبادُ ربَّهم بأسمائه وصفاته وأفعالهِ وتوحيدِه، والتفكُّر في مخلُوقاتِ اللهِ عبادةٌ وهدايةٌ، وهو مبدأُ الخيراتِ ومفتاحُها، فبه يُعظِّمُ العبدُ ربَّه ويزدادُ إيمانًا ويقينًا، ويفتحُ بصيرةَ القلبِ ويُنبِّهُه من غفلتِه، ويُورثُه حياةً وتدبُّرًا ومحبَّةً لله وتذكُّرًا.

التفكُّرُ في آياتِ الله من أفضلِ أعمالِ القلوبِ وأنفَعها، يدعُو إلى العمَلِ ويُلزِمُ صاحبَه الاستسلامَ لله.

قال سُفيانُ بن عُيينةَ- رحمه الله-: «التفكُّرُ مفتاحُ الرحمة، ألا ترَى أن المرءَ يتفكَّرُ فيتوبُ؟!».

وهو من خيرِ ما يُوعَظُ به العباد، قال- سبحانه-: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ (سبأ: ٤٦).

وإذا المرءُ كانت له فكرةٌ، ففي كل شيءٍ له عبرة، والقرآنُ العظيمُ مملوءٌ بدُعاءِ الخلقِ إلى التفكُّرِ في الآياتِ والنظرِ في المخلُوقات، قال- عزوجل-: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

وفي مخلُوقاتِ الله عِبَرٌ وعظاتٌ أمرَ الله بالتفكُّر فيها، فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (يونس: ١٠١).

قال شيخُ الإسلام- رحمه الله-: «والنظرُ إلى المخلوقاتِ العُلويَّةِ والسُّفليَّةِ على وجهِ التفكُّرِ والاعتبارِ مأمورٌ به مندوبٌ إليه».

والعقولُ التامَّةُ الذكيَّةُ هي التي تُدرِكُ الأشياءَ بحقائقها، واللهُ أثنَى على المُتفكِّرين في خلقِه وأنهم من أُولي الألباب، قال- سبحانه-: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

وذمَّ اللهُ المُعرضِين عن التفكُّر، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ (يوسف: ١٠٥).

ومن عقوباتِ الله: صَرفُ آياته عن المُستكبرين، قَال- سبحانه-: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٤٦).

قال الحسنُ البصريُّ- رحمه الله-: «أمنَعَهم التفكُّر فيها».

والشمسُ من آيات الله اليوميَّة العظيمة، قال- سبحانه-: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ) (فصلت: ٣٧).

جعلَها الله للكونِ ضياءً وهي في السماءِ سراجٌ وهَّاج، تجري بلا صوت مع كبَر حجمها بحساب دقيق في فلكٍ واسع إلى أجل مُسمًّى، (لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: ٤٠).

سخَّرَها الله لعباده، فبطُلُوعها وغرُوبها قيامُ الليل والنهار، ولولا وجودُها لبَطَلَ أمرُ هذا العالم، ففيها من الحِكَم والمصالح ما يعجزُ الخلقُ عن الإحاطة به، جعلَها الله دليلاً على وحدانيَّته وألوهيَّته، فقال: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ) (العنكبوت: ٦١).

وهي آيةٌ لأرباب العُقول، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (النحل: ١٢).

ودعا العبادَ إلى النظر في عجيب تسخيرها، فقال: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ) (لقمان: ٢٩).

وبها يحسُبُ الخلقُ أوقاتَهم ويعرفون معالمَهم، قال- سبحانه-: (وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا) (الأنعام: ٩٦).

وخلقَ الله الظلَّ وجعلَ الشمسَ عليه دليلاً.

قال البغويُّ- رحمه الله-: «ومعنى دلالتها عليه: أنه لو لم تكُن الشمسُ لما عُرِفَ الظل، ولولا النورُ لما عُرِفت الظلمة، والأشياءُ تُعرفُ بأضدادها».

علَّقَ الله على مسيرها كثيرًا من العبادات والأحكام؛ ففي الصلاة قال: (أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ) (الإسراء: ٧٨)، وعن أفضل أوقات الذكر قال: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ) (ق: ٣٩).

وفي الصيام يُفطرُ الصائمُ عند غُروبها.، ومن أمارَةِ ليلةِ القَدر: «تطلُع الشمسُ صبيحَةَ يومها بيضاءَ لا شُعاعَ لها» (رواه مُسلم).

وفي أيام التشريق بعد زوالها يرمي الحاجُّ الجمَرات.

وزمنُ انقضاءِ عبادةِ التوبة ينقضي بطُلُوع الشمس من مغربها؛ قال- عليه الصلاة والسلام-: «إن الله يبسُطُ يدَه بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُطُ يدَه بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها» (رواه مسلم).

وبصلاةٍ قبل طُلُوع الشمس وقبل غُرُوبها رتَّب الله عليها ثوابًا عظيمًا؛ قال- عليه الصلاة والسلام-: «إنكم سترَون ربَّكم كما ترَون هذا القمرَ لا تُضامُون في رُؤيته، فإن استطعتُم ألا تُغلَبُوا على صلاةٍ قبل طُلوع الشمس- أي: صلاة الفجر-، وقبل غُروبها- أي: صلاةِ العصر- فافعَلُوا» (رواه البخاري).

وخسوفها تخويفٌ من الله لعباده؛ قال- عليه الصلاة والسلام-: «إن الشمسَ والقمرَ لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما من آياتِ الله يُخوِّفُ الله بهما عبادَه، فإذا رأيتُم كُسوفًا فاذكروا الله حتى ينجَلِيَا» (رواه مسلم).

ولعظيم خلقها وكثرة منافعها أقسمَ الله بها، فقال: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس: ١).

ومع هذه العظَمة، فالله هو الذي يُسيِّرُها وهي تُسبِّحُ له، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ) (الحج: ١٨).

وكل يوم بعد غُروبها تسجُدُ لله، قال- عليه الصلاة والسلام-: «يا أبا ذرٍّ! أتدري أين تغرُبُ الشمسُ؟»، قلتُ: الله ورسولُه أعلم، قال: «فإنها تذهبُ حتى تسجُدَ تحت العرش، فذلك قولُه تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (يس: ٣٨)» (رواه البخاري).

وهي مخلوقةٌ فلا تُعبَدُ، ومن الشرك السجودُ لها، قال- سبحانه-: (لا تَسْجُدُوا

للشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت: ٣٧).

وغروبُها أسلوبٌ اتَّخَذَها الأنبياءُ من أساليب الدعوةِ إلى الله؛ احتجَّ إبراهيمُ- عليه السلام- على ألوهيَّة الله وبُطلان عبادته بمَغيبها، قال تعالى: (فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) (الأنعام: ٧٨، ٧٩).

وقد فُتن بها بعضُ الخلق فعبَدُوها من دون اللَّه، قال الهُدهدُ لسُليمان- عليه السلام- حاكيًا عن ملكَة سبأ وقومها: (وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (النمل: ٢٤).

والمُسلمُ لا يِتحرَّى بصلاته عند طلُوعِ الشمسِ أو غُروبِها؛ فإنها حينئذ يسجُدُ لها بعضُ الكفَّار.

ولسُجود بعض الناس لها ينتصبُ الشيطانُ لها عند طلوعها وعند غروبها، يُوهمُ نفسَه أنهم يسجُدون له، ولسَدِّ ذريعَة عبادتها نُهيَ المسلمُ أن يتحرَّى صلاةً قبل طلوع الشمسِ أو غُروبها، قال- عليه الصلاة والسلام-: «لا تحرَّوا بصلاتكم طُلُوعَ الشمس ولا غُروبَها؛ فإنها تطلُعُ بقرني الشيطان» (رواه مسلم).

وعند زوال الشمس كل يوم موعظةٌ للمُؤمن؛ فإن النار تُسجَّر- أي: تملأ وتُوقَد- في هذا الوقت، فتكرهُ الصلاةُ حينها، قال- عليه الصلاة والسلام-: «فإن حينئذ تُسجَّرُ جهنَّم» (رواه مسلم).

وطلُوعُ الشمس من غير مجراها أمارةٌ على قرب الساعة وإذنٌ من الله بخراب العالَم، قال- عليه الصلاة والسلام-: «لا تقومُ الساعةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها، فإذا طلعَت ورآها الناسُ آمَنُوا جميعًا، وذلك حين لا ينفعُ نفسًا إيمانُها» (متفق عليه).

وأولُ الآيات خُروجًا: طُلوعُ الشمسِ من مغربِها، وخروجُ الدابَّة على الناس ضُحَى، وأيُّهما كانت قبل صاحبتِها فالأُخرى إثرُها قريبًا.

وفي المحشر يجمعُ اللهُ الناسَ الأولين والآخرين في صَعيد واحد، يُسمعُهم الداعي ويُنفذُهم البصر، وتدْنو الشمسُ من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل.

قال- عليه الصلاة والسلام-: «فيكونُ الناسُ على قَدر أعمالهم في العَرق، فمنهم من يكونُ إلى كعبَيه، ومنهم من يكون إلى رُكبتَيه، ومنهم من يكون إلى حَقوَيه، ومنهم من يُلجمُه العرقُ إلجامًا» (رواه مسلم).

أيها المسلمون:

اقتضَت حكمةُ الله أن جعلَ للشمس ارتفاعًا وانخفاضًا ينتُجُ عنه الحرُّ والقرُّ، وفي حرِّ الصيَف عظةٌ للمُؤمنين، فشدَّتُه من فَيح جهنَّم، قال- عليه الصلاة والسلام-: «اشتكَت النارُ إلى ربِّها، فقالت: ربِّي! أكل بعضي بعضًا، فأذنَ لها بنفَسين: نفس في الشتاء، ونفَس في الصيف، فأشدُّ ما تَجِدُون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدُون من الزَّمهرير» (متفق عليه).

والدنيا مشُوبةٌ بالألم والنعيم؛ فألَمُها يُذكِّرُ بألَم النار، ونعيمُها يُذكِّرُ بنعيم الجنة، واختلافُ أحوالها من حرٍّ وبرد، وليلٍ ونهار، يدلُّ على انقضائها وزوالها.

والمُؤمنُ لا يقطعُه عن الله شيءٌ؛ فلا يمنَعُه الحرُّ عن صلاة، وصوم، وبرٍّ، وخير، والله ذمَّ القائلين: (**لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ**) (التوبة: ٨١)، وتوعَّدهم بقوله: (**قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**).

وعجَبًا لمن اتَّقَى حرَّ النار، كيف لا يتَّقِي نارَ الجحيم؟!

اللهم أصلح أحوالَ المُسلمين في كل مكان، اللهم اجعَل ديارَهم ديارَ أمنٍ ورخاءٍ يا ذا الجلال والإكرام.

(**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (الأعراف: ٢٣).

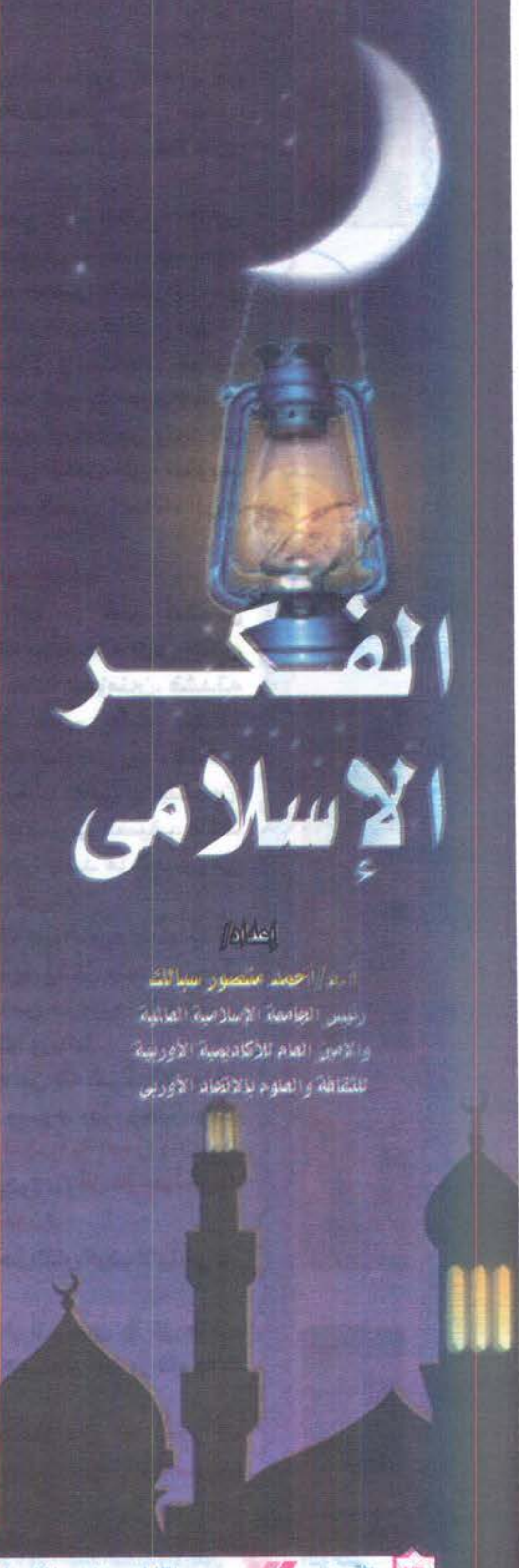

الفكر الإسلامي

إعداد

أ.د/ أحمد منصور سبالك
رئيس الجامعة الإسلامية العالمية
والأمين العام للأكاديمية الأوربية
للثقافة والعلوم بالاتحاد الأوربي

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعد:

الفكر الإسلامي كمنظومة ثقافية حضارية يمثل مادة حيوية في الاشتغال الفكري على النطاق العالمي اليوم، حيث يفوق ويتقدم على كل المنظومات الفكرية في العالم والأسئلة الآن:

- ما هو الفكر؟
- وكيف يكون؟
- ومتى يكون؟
- وأين يكون؟
- والسؤال الأهم: مَنُ المفكر؟

هذه تسمى عند المناطقة بأسئلة المعارف الخمسة، فمن أراد أن يُكوِّن معرفة لأمر ما، عليه بالإجابة على هذه الأسئلة الخمسة.

ولماذا بدأنا بهذه الأسئلة؟

لأنه شاع في عصرنا الحديث استعمال مصطلح «الفكر الإسلامي»، وغدا من المألوف أن يتردد على ألسنة العلماء والمفكرين، وأن يكون عنوانًا لكثير من الدراسات والكتب، وأن يكون موضوعًا للقاءات وندوات ومؤتمرات، ومادة علمية للدراسة في الكليات والجامعات.

بل وجدنا معهدًا متخصصًا قام لدراسة الفكر وإغنائه، وهو «المعهد العالمي للفكر الإسلامي»، بل وكان لي شخصيًا قلمٌ فيه، فصنَّفت منذ سنين كتابًا بعنوان: «الفكر الإسلامي.. عوامل النشأة وسبل التطور».

ومع كثرة استعمال هذا المصطلح حديثًا، إلا أنه لم يحظ بَعْدُ منْ العلماء والدارسين بما هو جدير به من عناية وبيان، وربما وقف منه بعض الناس موقف الشاك المستريب؛ نظرًا لعدم وروده على ألسنة السلف الصالح أو العلماء السابقين- فيما وصل إلينا من كتبهم ومؤلفاتهم-.

ومِن ثَمَّ مصطلح: «المفكر الإسلامي»، هذا المصطلح الذي أصبح يتناقل بين العامة قبل العلماء والمفكرين كالماء والهواء، لا سيما وأكثر من لُقب بهذا اللقب الآن ربما يكون أول مهمة له يفكر، يفكر في الدين الإسلامي- يا ليته ما فكر-.

وإن ألقاك فهمك في مهاوي

فليتك ثم ليتك ما فَهِمَت
إذا لم تجد في العلم خيرًا
فخيرٌ منه أن لو قد جهلتَ

فرأينا مفكرين كُثر يفكرون في الإسلام، بل وللإسلام، ولا يقف إلى هذا الحد، بل يزعم أنه هو المفكر، المجدد لهذا الدين، الواجب اتباع تفكيره.

وكيف لا؟!

وهو الملقب بـ «المفكر الإسلامي» أو «المجدد للدين»، ويرحم الله الرافعي مصطفى صادق لما حذر من هؤلاء قائلاً: يفكرون ثم يريدون أن يجددوا لنا الدين والشمس والقمر.

وكذلك أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

لا تحذو حذو عصابة مفتونة
يجدون كل قوم أمرًا منكرًا
ولو استطاعوا أنكروا في المجامع
مَن مات من آبائهم أو عُمِرا
مِن كلِّ ماضٍ في القَديم وهَدمه
وَإذا تَقَدَّمَ للبِنايَةِ قَصَرا

فهل يحق لأحد أن يزعم أن أحدًا من الباحثين المجتهدين في الفكر الإسلامي قدَّم فهمًا للإسلام نستطيع أن نصفه بالصحة والصواب، وما سواه من الآراء التي قدمها غيره بعيد عن هذه الصحة والصواب؟

ثم ما هو معيار الصحة والصواب الذي نزن به فكر هذا أو ذاك ممن يلقبون بالمفكرين الإسلاميين؟

بمعنى آخر: يصف الكثير نفسه بأنه «مفكر إسلامي»، ما هو إذن السمات الجوهرية التي تؤهله لاستحقاق هذا الوصف؟

فمن المفترض أن الذي يصف فكره بالإسلامي، ينبغي أن تأتي أقواله وأفعاله إلى حد كبير تجسيدًا لهذه الصفة، فالتدين ليس مجرد التمسك بشكليات الدين دون جوهره ولا العكس، بل للاثنين معًا.

لأن التدين هو الفهم الواعي للدين والعمل به ظاهريًا وجوهريًا، مما يربط حياة التعبد بحياة المجتمع، فلا ينعزل بعيدًا عن حقائق الحياة، وفي نفس الوقت لا ينغمس في الدنيا وينفلت منه الدين شيئًا فشيئًا، فلا هذا ولا ذاك.

لما نقرأ كتب السابقين كـ «درأ تعارض العقل والنقل»- مثلاً- وهو في مضمونه ينتقد فيه شيخ الإسلام يرحمه الله فكرًا معينًا، تعلم أن الفكر الإسلامي له قواعد وأسس من خلالها يتكون، وله نتيجة تتضح في سمات وصفات تؤدي إلى التدين الحق.

فالدخول تحت هذا المصطلح ينبغي أن تعلم أولاً الإجابة على الأسئلة التي بدأت بها المقال لأنها تساعد على تكوين حد صحيح لمصطلح الفكر، حتى نقف به على منهج صحيح يُتبع، ويُرسم لمن يريد أن يكون صاحب فكر إسلامي، فلا يتخبط بين المناهج الباطنة.

فمن هنا نجد الحاجة ماسة إلى الدراسة والكتابة في هذا المصطلح، لا سيما وقد كُتب له الشيوع والانتشار، وذلك ليكون القارئ على بينة من هذا المصطلح، فلا يلتبس عليه الأمر.

فالحاجة ماسة الآن للدخول في هذا المصطلح (الفكر الإسلامي) لبيان ماهية وكيف يتكون ومتى ومن يطلق عليه ومن لا، وكل ذلك يكون من خلال مصدر واحد، يسمى عندنا: بمصدر تلقي العلوم الإسلامية، ألا وهو الوحي الشريف وما يدور حوله من علوم.

ولهذا سنكتب فصولاً تساعد القارئ الكريم على الإجابة على هذه الأسئلة، وتضعه على الخط الصحيح الذي يوافق قول نبينا صلى الله عليه وسلم: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي...».

ولكن أردت الآن أن أضع أمام عين القارئ توطئة فيما سنكتب فيه بعد ذلك إن شاء الله وقدر.

سائلين المولى عز وجل أن ينفع بها القارئ والكاتب، إنه ولي ذلك والقادر.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

المسلم بين إرادة التغيير وإدارته

إعداد/ دكتور: **ياسر لمعي عبد المنعم**
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

الكل يتواصل.. الكل يسمع.. الكل يتكلم.. الكل يمضي.. لكن من يؤثر؟ من يُستمع له؟ من يقطع في الأمر؟ سوف نتذاكر هنا بعض المهارات التي تعين المسلم على التواصل مع الآخر باحترافية، كيف يسمع بل كيف ينصت بل كيف يستمتع بكلام محدثه؟ أم أنه عند حديثه يحتاج لبلع ريق، أو أنه يتلعثم عندما تقع عينه في عين مستمعه أو جلسائه.. أم أنه تزيغ عينه فينسى كلامه.... مثل هذا ما نتناوله في اللقاءات القادمة إن شاء الله.

هذا فكري كتبته إليك يحمله رأيي أرجو- أولاً- أن تقرأ مبناه، وتستوعب فحواه، ثم تستخلص بعد ذلك معناه، ولكن ابتداءً نحن بحاجة لتفعيل هذه القاعدة معًا: (ما يمكن قياسه يمكن تقييمه وتقويمه) إذن نبدأ بأنفسنا..

أين النموذج الأمثل أو الأنسب للقياس؟ هل نحن بحاجة للتغيير؟ علينا أن نقيس أنفسنا هل نحن مقبولون؟ هل نحن مطلوبون؟ هل يُنصت إلينا؟ هل نحن منبوذون في المجالس؟ هل نريد التغيير للأفضل أم ماذا؟ نعقد نيتنا أولاً على التغيير للأفضل للأحسن للأسبق فنحن بحاجة للتطوير بل للتنمية قال تعالى: «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» (سورة الرعد، آية: ١١).

«فهو يتعقبهم بالحفظة من أمره لمراقبة ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم وأحوالهم، فيرتب الله تصرفه بهم فإنه لا يغير نعمة أو بؤساً، ولا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة... إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم، وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم، وذلك كله يجري بعدله سبحانه وتعالى.

الشاهد في قوله: ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم- إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم- بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم.

وهذا ما ذكره الإمام البقاعي في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»: «أي أن الله سبحانه الذي له الإحاطة والكمال كله «لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ» أي خيرًا كان أو شرًّا «حَتَّى يُغَيِّرُوا» أي الذي «بِأَنْفُسِهِمْ» مما كانوا يزينونها به من التحلي بالأعمال الصالحة والتخلي من أخلاق المفسدين» ا.هـ رحمه الله.

كذلك يجب على العبد أن يغير ما بنفسه من أخلاق سيئة إلى أخلاق حسنة، وينتقل من أخلاق العصاة إلى أخلاق أصحاب الطاعات.

ثم يتجلى هذا الفهم منه خلال ثوابت الحياة ومتغيراتها بأنه إذا أراد العبد التغيير للأفضل فعليه أن يبدأ بنفسه، والشاهد هنا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم المشهور بحديث قاتل المائة نفس، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عبداً قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم عرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل، وفي رواية: راهب، فأتاه، فقال: إني قتلت تسعة وتسعين نفساً، فهل لي من توبة؟ قال: بعد قتل تسعة وتسعين نفساً؟ قال: فانتضى سيفه فقتله به،

فأكمل به مائة، ثم عرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل (عالم)، فأتاه فقال: إني قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ اخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة قرية كذا وكذا.. إلخ.

الشاهد هنا قول العالم لهذا العبد الذي رأى فيه حرصه على التغيير من نفسه: «اخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة قرية كذا وكذا، (فإن بها أناساً يعبدون الله)، فاعبد ربك (معهم) فيها، (ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)».

فما هي إلا أفكار للتغيير، وكلمات إيجابية يرفع بها صوته ليتخذ قراراً بالتغيير، بداية إذا أراد العبد أن يحدد موقعه ومدى تواصله مع الآخرين يسأل نفسه هذه الأسئلة:

١- من أنا؟
٢- كيف وصلت إلى هنا؟
٣- أين أريد أن أذهب؟
٤- من أصحابي؟
٥- ومن وما الذي يقف في طريقي؟
٦- وكيف أتغلب عليه؟

سيجيب عنها، ولكن يحتاج لاستنهاض ثقته بنفسه؛ لكي يدعم قرار التغيير، ونحن هنا نأخذ بيده في أول بارقة تواصل بيننا وبينه.

«نحن قوم أعزنا الله بالإسلام»

قالها: أمير المؤمنين صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فتح بيت المقدس، قالها عندما كان الإسلام منهجاً يطبقونه، وطريقاً ساروا معه، قالها عند ما كان الله عظيماً في قلوبهم عندما هابوا الله وعظموه هابهم كل شيء

ثقة العبد في الله من أعظم أسباب تنمية الثقة بالنفس؛

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (سورة محمد، آية: ٧).

إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئاً، شركاً ظاهراً أو خفياً، وألا تستبقي فيها معه أحداً ولا شيئاً، وأن تُحَكِّمَهُ في رغباتها ونزواتها، وحركاتها وسكناتها، وسرها وعلانيتها، ونشاطها كله وخلجاتها... فهذا نصر الله في ذوات النفوس.

تجد هنا أن الشاهد في قوله هذا نصر من الله في ذوات النفوس، وذلك بنصرة الله في اعتقاده وعباداته ومعاملاته وفق شرع الله وأمره، سيجد التثبيت الرباني ونصر الله في قراره وذوات نفسه.

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه يجلي لنا هذا المعنى عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟»...».

هنا يلفت النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر لأهمية حسن الظن بالله سبحانه، واستشعار معيته ونصرته لعبده، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستدعي اليقين الراسخ لسيدنا موسى حيث قال بملء فيه حين ذكره أتباعه بدنو دركهم من قبل فرعون وجنوده: «فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» (سورة الشعراء: الآيتان: ٦١، ٦٢). فكانت نصرة الله بتثبيت نفس النبي صلى الله عليه وسلم.

إن طلب الثقة بالنفس واستنهاضها يُعزز ويُدعم بالثقة في الله سبحانه وتعالى؛ مما يجعلنا نعوِّل على الكلمة الأولى في مقال: "المسلم بين إرادة التغيير وإدارته"، «وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٢).

ومن هنا بدا لي أن نبدأ-معًا- بمراجعة بعض المهارات والأدوات التي ستعين العبد المسلم-إن شاء الله- على تغيير العادات، وتساعد على مواكبة الآخرين مثل: (كيف تنمي ثقتك بنفسك؟- مهارات التفكير- وكيف تكون مبدعًا؟- وكيف تضبط خجلك؟- وبعض الأدوات الاجتماعية والأدوات الخاصة بإدارة الأعمال......).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
دمتم في أمان الله وحفظه.

أهل السنة عند أهل السنة

إعداد/ **الشيخ محمد عبد العزيز**

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد:

فإن سبيل الهدى والنجاة واحد، لا عوج فيه، هو صراط الله المستقيم الذي من تمسك به نجا، ومن استدبره، أو زاغ عنه يمنة أو يسرة هلك.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًّا.

ثم قال: هذا سبيل الله.

ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه.

ثم قرأ: «و أن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله». أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والدارمي (٢٠٢)، والنسائي في الكبرى (١١١٠٩).

وهذا السبيل معلوم لا يجهله أحد، وأهله يتصفون بصفات:

منها:

١- الاعتصام بالكتاب، قال الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعًا» (آل عمران ١٠٣).

قال ابن عباس رضي الله عنه: القرآن ؛ لأنه وصلة بين العباد وبين ربهم تعالى.

٢- والاعتصام بالسنة، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب.

فقال قائل: يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟

فقال: أوصيكم بتقوى الله. والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٨٧١)، وابن ماجه (٤٤).

٣ الاعتصام بهدي سلف الأمة، قال الله تعالى: «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (١٣٧) صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون» (البقرة: ١٣٧- ١٣٨).

فرد الناس لإيمان مثل إيمان الصحابة رضوان الله عليهم، ثم بين أن من تولى عن هذا الإيمان فإنما قد تفرق عن السبيل، واتبع سبيل الفرقة والشقاق.

وانظر لهذه الكلمة الجليلة التي قالها عبد

القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل (٢/٢٧٧): «فالذي يجب على المريد المبتدئ في هذه الطريقة: الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس، فيكون: على عقيدة السلف الصالح: أهل السنة القديمة سنة الأنبياء والمرسلين، الصحابة والتابعين، والأولياء، والصديقين».

وقال (١/١٧٥): «أما الفرقة الناجية، فهي أهل السنة والجماعة».

وقال تمييزا للفرقة الناجية (١/١٧٦): «وما اسمهم إلا أصحاب الحديث وأهل السنة، على ما بينا».

وهذه الفرقة الناجية في منهج تلقيها لا تخرج عن هذه الأصول، فلا تقدم العقل على النقل في الأخبار (العقائد)، ولا في الأحكام (الشرائع)، فليسوا كسائر الفرق التي تجري بهم أهواؤهم حتى ترديهم في مكان سحيق، وتجرهم جرًا بعيدًا عن الاعتصام بهذه الأصول.

وهي تعتقد اعتقادًا جازمًا: أن العقل الصحيح، لا يعارض النقل الصريح، ولو تعارضا، فإما أن يكون العقل غير صريح، أو النقل غير صحيح.

قال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين في حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة (١/٣٤٧) في وصفهم: «وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يقولون كيف ولا لمِ؟ لأن ذلك بدعة».

ثم قال (١/٣٥٠): «وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير».

وهذه الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، لا ينتسبون لشيء سوى السنة المحضة بخلاف غيرهم من الفرق والجماعات فهم إما ينتسبون إلى بدعهم، أو ينتسبون إلى إمامهم.

كالقدرية، والمرجئة، فإنهم ينتسبون إلى بدعتهم، وكالخوارج، والمعتزلة، والرافضة، فإنهم ينتسبون إلى أفعالهم، وكالجهمية فإنهم ينتسبون إلى إمامهم الجهم بن صفوان.

أما أهل السنة فإنهم لا ينتسبون لغير السنة المحضة.

سبب تسميتهم بأهل السنة والجماعة:

التسمية بأهل السنة تسمية قديمة تسمت بها هذه الطائفة لما تفرق الناس عن السنة، واتبعوا آراءهم، وعقولهم، وأهواءهم، واستدبروا هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم.

«فعن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون، عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. فينظر إلى أهل السنة، فيُؤْخَذُ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يُؤْخَذُ حديثهم». (رواه مسلم في مقدمة صحيحه، بابٌ في: إن الإسناد من الدين).

وسبب تسميتهم بالجماعة: لأنهم تمسكوا بجماعة المسلمين، حين خرج عليها، وتفرقت عليها الفرق، فلا يرون السيف، ويحفظون بيضة الأمة عن التشرذم، والتفكك.

وأوّل التسمية بالجماعة، لما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمن لا يطعن في دينه، وعدله خال المؤمنين، كاتب الوحي: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فاجتمعت كلمة المسلمين على إمام واحد بعد فرقة، وحقنت دماء، وكان عام رحمة، فسمي بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين على إمام واحد، وذلك في شهر ربيع الأوّل من عام واحد وأربعين (٤١هـ).

وقد يطلق عليهم أهل السنة فقط، فيشمل هذين المعنيين السابقين.

وقد يطلق عليهم الجماعة فقط، فيشمل ذلك جماعة الأديان، وجماعة الأبدان.

معنى السنة: الطريقة. قال في المصباح المنير مادة: س ن ن (ص ٢٤٠): السنة: الطريقة. والسنة: السيرة حميدة كانت أو ذميمة، والجمع: سنن، مثل: غرفة وغرف. اهـ

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» (رواه مسلم (١٠١٧)، والترمذي (٢٦٧٥)، والنسائي (٢٥٥٤) وابن ماجه (٢٠٣) من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه-).

وقوله: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا وَذَلِكَ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ».

(رواه البخاري (٢٣٣٥، ٦٨٦٧، ٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه-).

وتطلق في الاصطلاح على معان، والذي يهمنا منها في هذا المحل أربعة معان:

الأول: إطلاق اسم السنة على المتابعة فيما يتعلق بالاعتقاد وحده، فمن ذلك تسمية بعض كتب العقيدة بالسنة، مثل: أصول السنة للإمام أحمد، وللحميدي، ومثل: السنة لعبد الله بن أحمد، وللخلال، ولابن أبي عاصم.

الثاني: إطلاق اسم السنة في مقابلة البدعة، فيشمل ذلك الاعتقادات، والعمليات، والأقوال فتلك السنة المحضة.

قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، في شرح حديث العرباض بن سارية (٢/١٢٠ رقم ٢٨): «والسنة: هي الطريق المسلوك فيشمل ذلك:

التمسك بما كان عليه هو، وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة.

ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله، وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض.

وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد، إلا أنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم».

الثالث: قد تطلق السنة على اصطلاح أوسع من ذلك بكثير، فتطلق على من ليس شيعيًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/٢٢١): "فلفظ أهل السنة يُرَادُ به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.

وقد يُرَادُ به أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة».

الرابع: قد تطلق السنة على طوائف بالنظر إلى فرق أخرى.

قال شيخ الإسلام في نقض التأسيس (٢/٨٧) «فإنهم (يعني: الأشاعرة) أقرب أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم».

والمعنى الأول، والثاني هما المعنيان الشرعيان اللذين علق بها اسم النجاة ففي حديث معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة». رواه الترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجه (٦).

وقال الإمام النووي في شرح مسلم (١٣/٦٦ - ٦٧): «أما هذه الطائفة، فقال البخاري: هم أهل العلم.

وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم.

قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد: أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض».

وكثير من الطوائف ينسبون أنفسهم للسنة والجماعة، ويزعمون أنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وأهل الحق.

والحق: أنه لا مصانعة في ذلك، فمن التزم هذا المنهاج الحق، فهو من أهل السنة، الطائفة المنصورة، ومن خرج عن منهاجهم فليس منهم، وإن زعم ما زعم، وقال ما قال، وإن كبرت دعواه.

ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من الافتراق في الدين، وأخبر أن فرقًا كثيرة تقع في الضلال المؤدي بها إلى العذاب في الآخرة، وسُئل عن الفرقة الناجية، فقال: "ما أنا عليه اليوم وأصحابي". (سنن الترمذي وحسنه الألباني).

ولا يضر أهل السنة من خذلهم من أهل البدع والأهواء، ولا يضرهم إلصاق ألقاب السوء بهم.

قال عبد القادر الجيلاني في الغنية (١/١٦٦): «واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها.

والحمد لله أوَّلاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا.

اتبعوا ولا تبتدعوا

إعلان النكير على غلاة التكفير

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فالغلو في التكفير داء فتاك خطير وشر مستطير، سرى في كيان أمتنا مسرى الحُمَّى في الجسد، ومسرى النار في الهشيم، خاصة في هذا العصر الذي اختلَّت فيه المعايير، وضلَّت فيه الموازين، وتصدر للدعوة غير المؤهلين، فصاروا يهرفون بما لا يعرفون، وعلى علماء الأمة يتطاولون، فكانت الفتنة ولو سكت مَن لا يعرف لقل الخلاف وزال ولاسترحنا من هؤلاء الضلال.

وهذه البدعية البغيضة كم جرَّت على الأفراد والجماعات الويلات والمصائب العديدة قتلاً وتدميرًا وتخريبًا، حتى سالت الدماء المعصومة بأدنى شبهة.

وقد تولى كِبر هذا الإفك أغمار صغار حدثاء الأسنان، لا تعرف عقولهم إلى منهج السلف طريقًا، ولا يهتدون إليه سبيلاً، نبتوا في الحقل الإسلامي على حين غفلة من أهله.

فكانوا أشبه بالنباتات الضارَّة التي أفسدت على الحقل نباته، ولا يزال خطرها مستمرًا وقد مضى هؤلاء في نهجهم على منوال أسلافهم من الخوارج الذين ضربوا بسهم وافر في الفهم الفاسد، فوقعوا في سادات علماء الأمة، فتطاولوا عليهم بالتكفير تارة والتبديع والتضليل تارة أخرى بلا وازع ولا راع يمنعهم، وقالوا ذلك باسم الدين زعموا.

قادهم إلى ذلك جهلهم بأحكام الشريعة، واتباعهم لأهوائهم وبدعهم الشنيعة، وتقليدهم الأعمى لمشايخهم ظنًّا منهم أن الحق حكرٌ عليهم وحدهم، وهم في الحقيقة قد ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعًا، ولو سلكوا سبيل المؤمنين

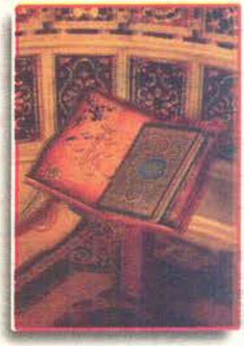

وزاحموا العلماء الربانيين المعتبرين ما سقطوا في هذا المنزلق الخطير، ولما خاضوا في الناس مكفِّرين ومبدعين ومضللين.

وفي هذا المقال نعرض لهذه الفتنة الخطيرة معرفين بأصحابها، ومحذرين من شرهم وخطرهم على البلاد والعباد، وموضحين الضوابط والمعايير التي وضعها علماء السلف لهذا الأمر الخطير حتى يعلم الناس الحق، وتستبين السبيل، فنقول مستعينين بالله:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافرُ = فقد باءَ بها أحدُهما، إن كان كما قال، وإلا رَجعتْ عليه» (متفق عليه (٦١٠٤) (٦٠) واللفظ لمسلم).

أولاً: الفوائد المستفادة من الحديث:

في هذا الحديث من الفوائد والتوجيهات النبوية والإشارات التربوية ما نحتاج إلى تأملها والوقوف عند حقائق ذلك.

١) فيه بيان خطورة تكفير المسلم، وعظم عقوبة من تجرّأ على ذلك.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله بعد ذكره للحديث: (وهذا وعيد عظيم لمن أكفرَ أحدًا من المسلمين، وليس كذلك، وهي وَرْطة عظيمة! (إحكام الأحكام: ٢/٢٢٦).

وقال الأمير الصنعاني رحمه الله: "وهذا زجرٌ عن إطلاق الكفر على المسلم، ومنه يُعلَم خطر التكفير باللازم، وتكفير التأويل.." (التنوير شرح الجامع الصغير: ٤/٤١٩).

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره؛ ببيان لا إشكال فيه" (التمهيد: ١٧/٢١).

وقد قيل لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال: لا. قيل: فمشرك؟ قال: معاذ الله، وفَزِع" (التمهيد: ١٧/٢١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "إذا كان تكفير المعين على سبيل الشتم = كقتله ؛ فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد؟!

فإن ذلك أعظم من قتله ؛ إذ كل كافر يُباح قتله، وليس كل من أُبيح قتله يكون كافرا" (الاستقامة: ١/١٦٥).

٢) فيه الإشارة إلى أن التكفير حكم شرعي مردُّه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. أي: لا يَكْفرُ إلا مَنْ كان عند الله ورسوله كافرًا، لا كما يقول المكفراتي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الكفر: حكم شرعي، وإنما يَثبت بالأدلة الشرعية" (الفتاوى ١٧/٧٨)

فالتكفير: حكم شرعي لا مَجال فيه لإقحام العقول والآراء.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الكفر: حكم شرعي مُتلقًى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يُعلم به صوابُ القَول وخطؤُه.

وليس كل ما كان خطأ في العقل، يكون كفرًا في الشرع؛ كما أنه ليس كل ما كان صوابًا في العقل، تجب في الشرع معرفته" (درء التعارض ١/٢٤٢)

٣) فيه دليل على وجود نواقض للإسلام، يرتدُّ مُرتكبها عن دينه - عياذا بالله- فقوله صلى الله عليه وسلم: «إن كان كما قال، وإلا رَجعتْ عليه»: يدلُ على احتمال صدق القائل، وتحقق الكفر في المقول له.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "المعنى في قوله: «فقد باء بها أحدهما»: يُريد أن المقول له: يا كافر: إن كان كذلك ؛ فقد احتمل ذنبه، ولا شيء على القائل له ذلك ؛ لصدقه في قوله. فإنْ لم يكن كذلك ؛ فقد باء القائل بذنب كبير، وإثم عظيم، واحتمله بقوله ذلك. وهذا غاية في التحذير من هذا القول، والنهي

عـن أن يُقـال لأحد مـن أهـل القبلة: يـا كافر! "(التمهيد ٢٢/١٧)

وقال القرطبي رحمه الله: "والحاصل أن المقول لـه: إن كان كافـرا كفـرا شرعيًـا، فقـد صـدق القائل، وذهب بها المقول له. وإن لم يكن: رجعتْ للقائـل معرّةُ ذلك القـول وإثمُـهُ" (فتح الباري ٤٦٧-٤٦٦/١٠).

٤) فيـه حجـة لمن ذهب مـن السلـف إلى تكفير الخـوارج؛ فـإن المشهـور عنهم تكفيـر المسلمين بالمعاصـي والذنوب؛ فهم بظاهـر هذا الحديث أحق وأولى بالكفر والردّة.

قـال الـداودي رحمـه الله: "لا تستحلُـوا مـنَ المؤمنين ما تستحلُون من الكفار؛ فتكونوا كفّارًا "(التوضيح شرح الجامع الصحيح ٣١٧/٣٢).

وقـال الإمـام مالـك رحمـه الله: "أرى ذلـك في الحرورية" (التمهيد ١٥/١٧).

والحرورية: هم الخوارج، سُمُوا بذلك نسبة إلى قريـة قـرب الكوفة يُقـال لها حـروراء، اجتمع فيهـا الخوارج حـين خرجوا على أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقـال رحمـه الله: "إنمـا هـو فيمَـن قالـه على اعتقـاد التكفـير بالنيـة والبصـيرة×، وهـم الخـوارج، لا أراهُ أراد بذلـك إلا الخوارج- الذين يكفِّـرون أهـل الإيمـان بالذنـوب- ومَـن ذهـب مذهبهم، ورأى رأيهم" (الاستذكار ٥٤٩/٨).

بالنية والبصيرة: أي قاصـدًا التكفير، عالمًا بما يترتـب عليه. وقـال الإمام النـووي رحمه الله في معرض ذكـره لأوجـه تأويل هـذا الحديث: "الثالـث: أنه مَحمـول على الخـوارج المكفِّرين للمؤمنين" (شرح مسلم ٥٠/٢)

إلا أن الصحيـح الراجح عـدم كفرهم بمقتضى هـذا الحديـث، مـع إيغالهـم في الضـلال.. قال شيـخ الإسلام رحمه الله: "فقد سمّاه أخاهُ حين القـول؛ وقد أخبر أن أحدهما باء بها. فلو خرج أحدهمـا عـن الإسلام بالكلية، لم يكـنْ أخاهُ!" (الفتاوى ٣٥٥/٧).

وهذا من عَدل أهل السنة والجماعة، وإنصافهم وحُسْن اتّباعهم...

قـال شيـخ الإسـلام رحمـه الله: "أهل العلم والسنـة لا يُكفّـرون مَن خالفهـم، وإن كان ذلـك المخالـف يكفّرهم؛ لأنّ الكفـرَ حكمٌ شرعـي؛ فليـس للإنسـان أن يُعاقِبَ بمثلـه، كمـن كـذَب عليـك، وزنـى بأهلـك.. ليـس لـك أن تكـذب عليـه، وتـزنيَ بأهلـه؛ لأنّ الكـذب والزنـا حـرام لحـق الله تعالى، وكذلك التكفير حـقٌ لله. فلا يكفَـر إلا مَـن كفَـره الله ورسولُه؟" (الـرد علـى البكري ٢٥٨).

٥) فيــه الإشـارة إلى أن الأصـل في المسلـم السلامـة مـن النقائص، قال العز بن عبد السلام رحمه الله عن المسلم: "فإن الأصـل: براءةُ ذمته من الحقوق، وبراءةُ جسده من القصاص والحدود والتعزيرات، وبراءتُه من الانتساب إلى شخص معـين، ومن الأقوال كلها، والأفعال بأسرها" (قواعد الأحكام ٣٢/٢).

وقـال العلامـة الألباني رحمـه الله: "إن الأصل في المسلـم: إحسان الظن به؛ إلا إذا عُرف بعناده وإصـراره علـى باطلـه.. (الـذب الأحمـد عـن مسند الإمام أحمد ٤١).

ثانيا: ضوابط ومعايير لابد منها:

في الحديـث عـن ضوابـط التكفـير ومعايـيره، لا بدّ مـن بيان مسألتـين هامتين، فيهمـا ضلّت طوائـف مـن المسلمين بسبـب عـدم ضبطهما، وسوء فهمهما:

المسألةُ الأولى: أقسام الشرك والكفر.

والمسألة الثانية: شروط التكفير وموانعه.

وهـذا ما نعرض له في الحلقـة القادمة بمشيئة الله والحمد لله رب العالمين.

احذر هذه البدعة

إعداد/ **سيد عباس الجليمي**

الاحتفال غير المشروع بعاشوراء

وهو اليوم العاشر من هذا الشهر المحرم، وهو يوم فضيلة عظيمة، وحرمته قديمة، وشرفه لا يُنكر، وهو اليوم الذي نجَّى الله فيه موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، وهو اليوم الذي أغرق فيه فرعون، وهو أحد مواسم الطاعات برفع الدرجات وحط السيئات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم». (رواه مسلم). وقد أمرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم بصيامه في أحاديث كثيرة منها قوله: «صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله». (رواه مسلم)، وفي الصحيحين عن ابن عباس مرفوعًا: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن من التاسع» يعني مع عاشوراء، فصيام هذا اليوم سُنة لا شك في ذلك.

لكن من البدع في هذا اليوم ما يفعله الشيعة والجهلاء من الطبل والرقص والزار والحضرة ولطم الخدود، وشق الجيوب، وخمش الوجوه، وسفك دمائهم بأيديهم، ومن البدع الانشغال في هذا اليوم بأمور ما أنزل الله بها من سلطان، مثل اتخاذ مأكولات معينة أو حبوب زراعية معينة أو ذبح نوع معين من الطيور، أو اعتقاد فضيلة معينة لم يأذن بها الشرع ولا دل عليها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما يعتقده البعض من فضيلة الوطء في هذا اليوم والحمل والولادة، وما إلى ذلك من الترهات والأوهام.

فالمشروع في هذا اليوم هو صيامه، ومخالفة أهل الكتاب وفق التفصيلات المشروعة الثابتة في السنة.

وللصوم في هذا اليوم مراتب تراجع تفاصيلها في كتب السنة والفقه المعروفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «صيام يوم عاشوراء سنة، ولا يكره إفراده بالصوم». والأفضل ضم التاسع إلى يوم عاشوراء كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم.

كتب ومصنفات ابن عربي

ابن عربي هو: محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي الأندلسي المُرسي أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله، الملقب بمحيي الدين ابن عربي الصوفي (٥٦٠ - ٦٣٨هـ).

وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود وتصوف الفلاسفة، وصاحب التواليف الكثيرة والشعر الفصيح، ومن أشهر هذه الكتب: «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحِكم»، و«محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار»، و«مفاتيح الغيب»، و«التجليات»، و«مواقع النجوم ومطالع أهل الأسرار والعلوم»، و«شجرة الكون»، و«الأنوار في أسرار الخلوة»، و«فتح الذخائر»، و«الأغلاق شرح ترجمان الأشواق»، وغيرها.

وقد زعم ابن عربي أنه صنَّف كتابه «الفصوص» بإذن النبي صلى الله عليه وسلم في منام زعم أنه رآه.

ومن أقواله التي تضاد كُتب الله المنزلة، وتخالف أقوال الأنبياء المرسلين قوله: «إن آدم عليه السلام إنما سُمي إنسانًا لأنه للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر».

وقال أيضًا: «إن الحق المنزَّه هو الخلق المشبَّه»، وقال عن قوم نوح: «إنهم لو تركوا عبادتهم لودٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء». ثم قال: «فإن للحق في كل معبود وجهًا، يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله، فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وإن التفريق والكثرة: كالأعضاء في الصورة المحسوسة».

قال عنه الإمام الذهبي في «السير» (٤٨/٢٣): «وكان ذكيًّا كثير العلم، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرد، وتعبد وتوحد، وسافر، وتجرد، وأتهم، وأنجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئًا كثيرًا من تصوف أهل الوحدة، ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص»، فإن كان لا كُفْرَ فيه، فما في الدنيا كفرٌ، نسأل الله العفو والنجاة، فَوَاغوثاهُ بالله».

وابن عربي هذا غير الإمام محمد ابن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي الفقيه المالكي المعروف بابن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣) صاحب «أحكام القرآن» و«عارضة الأحوذي»، و«المسالك في شرح موطأ مالك»، و«المحصول»، وغيرها. فالذي نحذر منه هو الأول الصوفي.

نسأل الله تعالى الثبات على الإيمان، وأن يتوفنا مسلمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

القول الحسن يزيل الشحناء

قال الله تعالى: "وَقُلْ لعبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ" (الإسراء: ٥٣).

فقه الواقع ودرء الفتن

لو أخطأ الناس جميعاً فوقفوا بعرفات يوم العاشر من ذى الحجة لخطأهم فى رؤية الهلال أجزأهم الوقوف إتفاقاً وكان اليوم الذى وقفوا فيه هو يوم عرفة فى حقهم لقول أم المؤمنين عائشة إنما عرفة اليوم الذى يعرفه الناس وفى السنن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (أصوكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون) وعليه العمل عند أئمة المسلمين. (أنظر فتاوى إبن عثيمين)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم».

(مسند أحمد)

من فضائل الصحابة

عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن قال: من جَهِل فضل أبي بكر وعمر فقد جَهِل السنة. (أصول الاعتقاد للالكائي)

من جوامع الدعاء

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون". (متفق عليه)

من نصائح السلف

عن علي رضي الله عنه قال: "ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وتتناهى في عبادة ربك، إن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. لا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنبا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل سارع في دار الآخرة". (كنز العمال)

إعداد/ علاء خضر

من سير السلف

قال شقيق البلخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس. (سير أعلام النبلاء)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدًا)، (فلق البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء)، (من وسع على عياله في النفقة يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته).

(السلسلة الضعيفة للألباني)

من حكمة الشعر

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلم إنهمُ
على الهُدى لمَن استهدى أدلاءُ
قيمةُ المرءِ ما قد كان يحسِنُهُ
والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ
فقمْ بعلمٍ ولا تطلبْ به بدلا
فالناسُ مَوْتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

العلم قبل العمل !

عن ابن سيرين قال: "إن قوماً تركوا العلم ومجالسة العلماء، واتخذوا محاريب فصلُّوا فيها، حتى يَبِسَ جلْد أحدهم على عظمه، خالفوا السنة فهلكوا. والله ما عَمِلَ عاملٌ بغير علْم إلا كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح".

(الباعث لأبي شامة)

خُلق حسن فالزمه

(قال جعفر بن محمّد: إنّي لأتسارع إلى قضاء حوائج إخواني؛ مخافة أن أردّهم فيستغنوا عنّي). (نضرة النعيم)

خلق سيئ فاحذره

عن عطاء عن ابن عبّاس قال: "لا تنفق في الباطل فإنّ المبذّر هو المنفق في غير حقّ".

(نضرة النعيم)

أكل العجوة تقي من السحر

عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تَصَبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر". (صحيح البخاري)

باب الاقتصاد الإسلامي

دور القيم الإيمانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد رأى الإخوة المشرفون على مجلة التوحيد - نفع الله بها - أن يسندوا إلي الكتابة في باب الاقتصاد الإسلامي، فأجبتهم لطلبهم، وأسأل الله تعالى أن ينتفع القراء الكرام بما أكتبه، وأول ما أبدأ به هو الحديث عن القيم التي قام عليها هذا العلم:

يقوم علم الاقتصاد الإسلامي على قيم إيمانية (عقيدة) وأخلاقية للمتعاملين باعتباره من العلوم الاجتماعية التي تتأثر بقيم وثقافة وفكر وعادات المجتمع الإسلامي، كما أن التربية الإسلامية من مقومات سلامة واستقامة المعاملات الاقتصادية.

وقد اتجه علماء الاقتصاد الوضعي في الوقت المعاصر نحو الاهتمام بالجانب الأخلاقي لعلم الاقتصاد، وأوضحوا أن هناك العديد من المشكلات الاقتصادية لا تعالج إلا من خلال القيم والمثل، وهذا يؤكد الإعجاز الاقتصادي في الإسلام، وأنه ينسجم مع الفطرة والعقل.

القيم الإيمانية والأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي:

أولاً: الإيمان بأن الله هو المالك الأصلي والحقيقي لمستلزمات النشاط الاقتصادي.

يؤمن المسلم الذي يمارس أي نشاط اقتصادي مهما كان نوعه وحجمه بأن الله هو المالك الحقيقي لمستلزمات هذا النشاط ظاهرة وباطنة وأن ملكية الإنسان لمثل هذه الأشياء مُعارة مؤقتة لتمكينه من استخلاف الله في الأرض وتعميرها في الفترة التي يعيشها، وأصل ذلك قول الله سبحانه وتعالى "لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى" (سورة طه: ٦)، وقوله تبارك وتعالى في آية أخرى مناديا الناس بالإيمان والإنفاق من المال الذي سوف يتركونه: "ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ" (سورة الحديد ٧)، ويقول الله تعالى سبحانه وتعالى على أن ما بحوزة الإنسان من مال فهو من عنده جل شأنه ويجب أن ينفق حسب أوامره فيقول: "وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ" (سورة النور"٣٣").

يستنبط من الآيات الكريمة السابقة أن الله سبحانه وتعالى مالك كل شيء وله وحده حق تنظيم وإدارة ما يملك وأن ملكية الإنسان لمثل هذه الأشياء هي حيازة لوديعة أو إعارة لمنفعة.. وهذا يوجب على الإنسان أن يتعامل في هذا المال في ضوء القواعد والشروط التي وضعها المالك الأصلي للمال وهو الله.

ثانيًا: الإيمان بأن الله سخر ما في الكون لخدمة الإنسان ولمزاولة النشاط الاقتصادي.

يؤمن المسلم بأن حيازته لمستلزمات النشاط الاقتصادي في حد ذاتها لا تمكنه من الحصول على الرزق بدون ما سخر الله من أشياء أخرى مثل الهواء والماء.. وغير ذلك.. ومن رحمة الله لعبادة أن جعلها ليست تحت سيطرة أو بحوزة العباد.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تؤكد

إعداد/
د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر
خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية

والأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي

ذلك منها قوله تعالى: " ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" (سورة إبراهيم "٣٢ - ٣٤").

نستنبط من الآيات السابقة أنه مع حيازة الإنسان لبعض عوامل الإنتاج إلا أن هناك عوامل أخرى ضرورية للحصول على الرزق ليست بحوزة أحد إلا الله، وأنه قادر على كل شيء، إن هذا الاعتقاد يجعل المسلم دائمًا متذكر قدرة الله وفضله عليه ويجعله يلتزم بالشروط والقواعد التي وضعها له للتصرف في الأموال.

ثالثا: الإيمان بالتفاوت في الأرزاق.

يؤمن المسلم الذي يباشر أي نشاط أو عمل أن عليه أن يسعى طبقًا لأوامر الله في الحصول على الرزق ويرضى بما قسمه الله له، لأنه تبارك وتعالى يوزع الأرزاق على الناس وفق حكمته وعلمه بما هو أفضل لهم.. فمن الناس من إذا أغناه الله فسد، ومنهم من إذا قبض الله عنه الرزق فسد، فسبحانه الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وأصل ذلك في القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: "وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ" (النحل: ٧١).

وينهانا الله عن تمني ما فضل الله بعض الناس على بعض.. وضرورة التوجه إلى الله بطلب الرزق بدلا من التطلع إلى تفاوت.. الأرزاق مما قد يوقع الإنسان في الحسد والحقد والقلق والنكد، ويقول الحق القابض الباسط "ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (المائدة: ٥٤). ويقول الحكيم العليم: "وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ" (الشورى: ٢٧) يُفهم من هذه الآية الشريفة أن الله لو أعطى الناس فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان.

ولا يعتبر التفاوت في الرزق تفضيلاً للغني على الفقير عند الله حيث لا فضل لغني على فقير، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ويقول الله مؤكداً ذلك: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (الحجرات: ١٣)، ولذلك ليس الفقر تقليلاً لكرامه الإنسان وذاتيته.

رابعا: الإيمان بأن مزاولة النشاط الاقتصادي عبادة وشكر لله.

يؤمن المسلم بأن مزاولة النشاط الاقتصادي في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية عبادة يثاب عليه، وإذا ما خالف أو لم يقم بأي نشاط فهو آثم.. لأن في مباشرة النشاط الاقتصادي ضرورة لاكتساب الرزق الطيب لتمكين الفرد من الحياة وعبادة الله وحمل الأمانة، ويأمرنا الله تبارك وتعالى بذلك

فيقول: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" (الملك: ١٥).

ويجب على المسلم أن يُخلص في عمله ويكون هدفه وغايته من ذلك هو تحقيق رضاء الله مصداقاً لقوله تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الأنعام: ١٦٢)، ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهمية السعي في طلب الرزق الحلال فيقول: "نعم المال الصالح للمرء الصالح". (رواه البخاري-الأدب المفرد رقم٢٩٩).

إن اعتقاد المسلم بما سبق يحفزه على العمل بإخلاص لكسب الرزق الحلال الطيب وفي ذلك إعانة على إشباع الحاجات المادية اللازمة للجسد وكذلك عبادة وشكر لله وفي هذا أيضا إشباع للحاجات الروحية.

خامساً: الايمان بالمحاسبة الأخروية.

يؤمن المسلم بأن الله سوف يحاسبه على نشاطه الاقتصادي وهل اكتسب الرزق من الحلال وهل أنفقه فيما يرضى الله، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى: " فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) (سورة الحجر "٩٢، ٩٣") ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:) لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع؛ منها عن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه((رواه الترمذي).

ولا تقتصر المحاسبة الأخروية على سلوك المسلم في ماله من الله فقط بل يمكن ذلك من ولي الأمر أو الولي في الحياة الدنيا وذلك إذا ما تصرف الفرد في ماله تصرفا يسئ إلى المجتمع.

ويتولد لدى المسلم المؤمن بالمحاسبة الأخروية من الله ما يطلق عليه اسم المحاسبة الذاتية.

سادساً: الايمان بأن الله يراقب الناس على كل تصرفاتهم:

يؤمن المسلم بأن الله تبارك وتعالى يراقب كل تصرفاته سواء أكانت علنية أو خفية وهذا يجعله دائما في خوف من الله وحذر من الوقوع في مخالفة شرعه، وهذا ما يطلق عليه بلغة الاقتصاد العصري مصطلح الرقابة الذاتية، وأساسها ارتباط قلب الإنسان بخالقه، ووجود الضمير اليقظ الحي السليم الذي يوجِّه الجوارح إلى الخير، فالفرد المسلم يقوم بدارسة وتقييم الأمور قبل تنفيذها فإذا كانت تتفق مع ما وضعه الله من أحكام وقواعد قام بها وإذا كانت تتعارض وتقع في دائرة المحرمات امتنع عن أدائها، وأدلة المراقبة الذاتية كثيرة، منها من الكتاب على سبيل المثال قول الحق تبارك وتعالى: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (الحديد: ٤)، وقوله عز وجل: "بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ" (القيامة: ١٤)، والدليل من السنة قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الإحسان قال:) أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ((رواه البخاري ومسلم).

ويلي المراقبة الذاتية في العمل.. وبعد أدائه تأتي المحاسبة الذاتية وتعني أن الفرد المؤمن يحاسب نفسه بنفسه عن أدائه الذي قام به ليعرف مدى توافقه مع ما كان يجب أن يقوم به وبيان أوجه التقصير والاجتهاد، فعلى سبيل المثال يقوم الفرد المسلم الذي يؤدي عملا اقتصاديا أو غيره بمقارنه أدائه الفعلي بالأداء الواجب أن يكون وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية وبيان الاختلاف وسببه، ويحاول تجنب ذلك مستقبلا، والآيات والأحاديث والأقوال في ذلك كثيرة منها من الكتاب قول الله عز وجل" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (الحشر: ١٨)، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم، وتهيئوا للعرض الأكبر «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية».

والى اللقاء في العدد القادم إن شاء الله.

الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

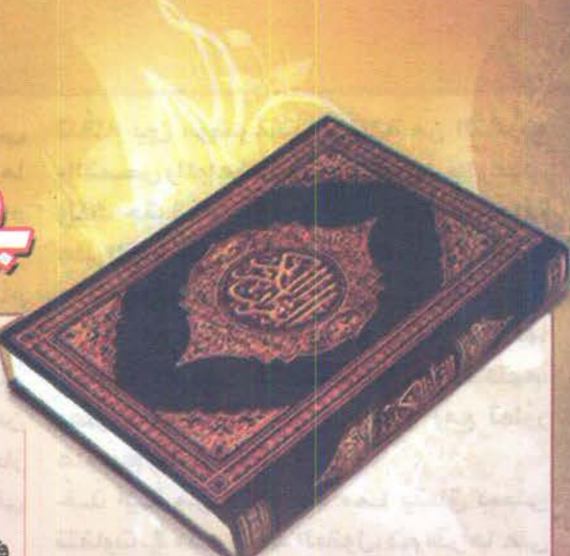

إعداد/ **د. سراج ربيع شافعي**
جامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عندما نزل القرآن على الناس، نزل بلغة العرب فكانت الآيات تنطق بلغتهم "الم"، "كهيعص"، وكان من المعروف أن العرب من أشد الناس تفاخرًا وكبرياء بلغتهم، فتحداهم الله بأن يقولوا كلامًا مثل هذا القرآن فقال متحديًا العرب: «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (القصص: ٤٩)، فعجزوا عن ذلك فجاء التحدي بصورة أخرى.... أسهل من الأولى:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ» (هود: ١٣)، فعندما انقلبوا خائبين جاء التحدي الفاضح الدال على عجزهم: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» (البقرة: ٢٣). فأثبت القرآن عجزهم التام في هذا..

«قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (الإسراء: ٨٨).

فبدؤوا بالتشكيك في القرآن.. وقالوا إنه مجمع للأخبار والأساطير الأولى.. فأتوا بالنضر بن الحارث وأقعدوه عند النبي صلى الله عليه وسلم وكلما أراد أن يتكلم عليه الصلاة والسلام بالقرآن فليقاطعه ويبدأ بسرد القصص والأساطير التي واجهها في أسفاره وترحاله.. وبالفعل نجحت الخطة في بداية الأمر.. وسر بذلك النضر أيما سرور وكان يقول متباهيًا "بم محمد أفضل مني؟ هو يحدث بأساطير وأنا أحدث بأساطير"، فنزل قول الله الفصل: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الفرقان: ٥).

وبعد أيام؛ بدأ الناس بالملل.. وبدأ يتناقص مجلس النضر الواحد تلو الآخر.. وتجمعوا عند النبي ليرفعوا راية النصر للقرآن.. فليس القرآن قصصا فحسب وإنما جامع لكل شيء..

فما الحيلة الآن؟؟ وماذا نقول للذين أُذهبت قلوبهم بالقرآن؟؟ أيعترفون أنه من الله فتذهب مكانتهم ويبين كذبهم!!

لا والله؛ فأشيعوا أن النبي يأخذ القرآن من رجل اسمه (الرحمن) في اليمامة وهو رجل أعجمي!! عجبا والله «لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» (النحل: ١٠٣).

فانقلبوا على أدبارهم خاسرين..

هذا هو موقف العرب من بلاغة القرآن.. وفصاحته واكتماله وتناسقه.. عرفوا أنه من الله...وأنه لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله، ولكن عزة الإثم منعتهم من الإيمان.. فأي مصير لهم بعد أن عرفوا الحق وحادوا

عنه.. حتى أنه قسّم العرب كلامهم إلى نوعين؛ شعر ونثر، ولكل منهما أنواع، فعندما جاء القرآن وحي الله الخالد؛ اضطر العلماء إلى تقسيم الكلام إلى ثلاثة أنواع، شعر ونثر وقرآن، لأنه ما استقام تحت الشعر وما استقام تحت النثر..

القرآن الكريم يختلف في نَظْمه عن النثر والشعر، ولكنه في ذات الوقت يجمع من خصائصهما ما يُحَيّر السامع له، ولإعجاز النَّظْم في القرآن الكريم عدّة مظاهر تتجلّى فيها.

أولاً: الخصائص المتعلّقة بالأسلوب:

أ- أن الأسلوب القرآني يَجْري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، فالفنون التعبيريّة عندهم لا تَعْدُو أن تكون شعرًا أو نثرًا، ولكن القرآن شيء آخر؛ فلننظر إلى قوله تعالى: «حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ» (فصلت: ١-٥).

فهذه الآيات القرآنية بتأليفها العجيب، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن ربيعة -وكان من أساطين البيان- استولت على أحاسيسه ومشاعره، وطارت بلبّه، ووقف في ذهول وحَيْرة، ثم عبّر عن حَيْرته وذهوله بقوله: "والله لقد سمعتُ من محمد قولاً ما سمعتُ مثله قطُّ، والله! ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة... والله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُه نبأ عظيم. رواه البيهقي في الدلائل (٢/٢٠٤).

ب- كما أن الأسلوب القرآني يظلُّ جاريًا على نسق واحد من السموّ في جمال اللفظ، وعمق المعنى ودقّة الصياغة وروعة التعبير، رغم تنقُّله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والحجج والوعد والوعيد، وتلك حقيقة شاقّة، بل لقد ظلّت مستحيلة على الزمن لدى فحول علماء العربيّة والبيان.

ج- ومن خصائص الأسلوب القرآني كذلك أن معانيه مصاغة بحيث يصلح أن يخاطَب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم، وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم، ومع تطوُّر علومهم واكتشافاتهم.

خُذْ آية من كتاب الله ممّا يتعلّق بمعنًى تتفاوت في مدى فهمه العقول، ثم اقرأها على مسامع خليط من الناس يتفاوتون في المدارك والثقافة، فستجد أن الآية تعطي كلاً منهم معناها بقدر ما يفهم، وأنّ كلاً منهم يستفيد منها معنًى وراء الذي انتهى عنده علمه، مثل قوله تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا» (الفرقان: ٦١)، فهذه الآية تصف كلاً من الشمس والقمر فالعامّي من العرب يفهم منها أن كلاً من الشمس والقمر يبعثان بالضياء إلى الأرض، والمتأمّل من علماء العربيّة يُدرك من وراء ذلك أن الآية تدلُّ على أن الشمس تجمع إلى النور الحرارة؛ فلذلك سمّاها سراجًا، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه لذلك سمّيَ منيرًا، أمّا العالمُ الفلكي الحديث فقد يفهم منها أن إضاءة الشمس ذاتية كالسراج، بينما نور القمر مجرّد انعكاس.. وكل هذه المعاني صحيحة.

د- ومن خصائص الأسلوب القرآني تميّزه بظاهرة التكرار الذي ينطوي على معانٍ بلاغية كالتهويل، والإنذار، والتجسيم والتصوير، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: «الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ» (الحاقة: ١-٣)، وقوله تعالى: «سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ» (المدثر: ٢٦، ٢٧).

ثانيًا: الخصائص المتعلّقة بجمال المفردة القرآنيّة

والتي من أهمّ مزاياها وخصائصها جمال وقعها في السمع، واتّساقها الكامل مع المعنى، واتّساع دلالتها لما لا تتّسع له عادةً دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات.

وقد نجد في تعابير بعض الأدباء والبلغاء كلمات تتّصف ببعض هذه المزايا والخصائص، أمّا أن تجتمع كلها معًا وبصورة مطّردة لا تتخلّف أو تشذّ فذلك ممّا لم يتوافر إلاّ في القرآن الكريم، وإليك هذا المثال القرآني الذي يوضح هذه الظاهرة ويجليها:

يقول تعالى في وصف كلٍ من الليل والصبح: «وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» (التكوير: ١٧، ١٨)، ففي هاتين الكلمتين: "عَسْعَسَ"، و"تَنَفَّسَ" تشعر أنهما تبعثان في خيالك صورة المعنى محسوسًا مجسّمًا دون حاجة للرجوع إلى قواميس اللغة؟! وهل في مقدورك أنْ تُصَوِّر إقبال الليل وتمدُّده في الآفاق المترامية بكلمة أدقّ وأدلّ من "عَسْعَسَ"؟! وهل تستطيع أن تُصَوِّر انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من "تَنَفَّسَ".

ثالثًا: الخصائص المتعلّقة بالجملة القرآنيّة وصياغتها

ونجد ذلك واضحًا في التلاؤم والاتّساق الكاملين بين كلماتها، وبين حركاتها وسكناتها؛ فالجملة في القرآن تجدها دائمًا مؤلّفة من كلمات وحروف وأصوات يستريح لتألُفها السمع والصوت والمنطق، ويتكوّن من تضامّها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليَتمّ لو نقصت من الجملة كلمةٌ أو حرف، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال، فاقرأ قوله تعالى: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» (القمر: ١١، ١٢)، وتأمّل تناسق الكلمات في كل جملة، بل وتناسق الحروف قبل الكلمات، وعن هذا التناسق البديع بين الجمل والكلمات يقول الباقلاني: "تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضًا في اللطف والبراعة، ممّا يتعذّر على البشر ويمتنع".

كما نجد الجملة القرآنيّة تدلُ بأقصر عبارة على أوسع معنى تامّ متكامل، لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه إلاّ بأسطر وجمل كثيرة، دون أن تجد فيه اختصارًا مُخلاً، أو ضعفًا في الأدلّة، اقرأ قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» (البقرة: ١٧٩)، فلا يمكن التعبير الدقيق عن أثر قيمة القصاص في حياة المجتمع إلاّ بكلمة حياة؛ فالحياة التي في القصاص تنبثق من كفّ الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء، فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمنًا لحياة من يقتل جدير به أن يتروّى ويفكر ويتردّد، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل، وفي القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم؛ فالاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها، واعتداء على كل إنسان حي، يشترك مع القتيل في سمة الحياة، فإذا كفّ القصاصُ الجاني عن إزهاق حياة واحدة؛ فقد كفّه عن الاعتداء على الحياة كلها.

وكذلك إخراج الجملة القرآنية للمعنى المجرّد في صورة حسية ملموسة، ببثّ الرُوح والحركة فيها، فيقول: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ» (البقرة: ١٧)، إنه يُصَوِّر لك هذا المعنى في مظهر من الحركة المحسوسة الدائرة بين عينيك؛ حيث شبّه حال المنافق المضطرب بين الحقّ والباطل بالأعمى الذي لا يبصر.

نسأل الله أن يرزقنا تدبر القرآن والعمل بما فيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحكام الصلاة

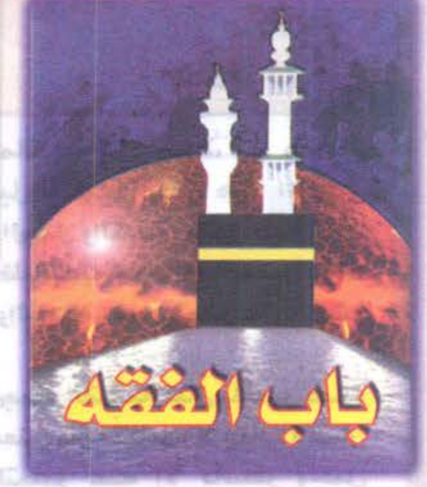

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

استكمالاً للحديث عن أحكام الصلاة نشرع في بيان أحكام سجود السهو، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

التَّعْرِيفُ:

١- السَّهْوُ لُغَةً: نِسْيَانُ الشَّيْءِ وَالْغَفْلَةُ عَنْهُ. وَسُجُودُ السَّهْوِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ: هُوَ مَا يَكُونُ فِي آخِرِ الصَّلاَةِ أَوْ بَعْدَهَا لِجَبْرِ خَلَلٍ، بِتَرْكِ بَعْضِ مَأْمُورٍ بِهِ أَوْ فِعْلِ بَعْضِ مَنْهِيٍّ عَنْهُ دُونَ تَعَمُّدٍ. الإقناعَ لِلشربيني الخطيب ٢/٨٩.

مشروعية سجود السهو

لا مرية في مشروعية سجود السهو، قال الإمام أحمد: نحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة أشياء: سلم من اثنتين فسجد، سلم من ثلاث فسجد، وفي الزيادة، والنقصان، وقام من اثنتين ولم يتشهد. وشرع سجود السهو جبراً لنقص الصلاة، تفادياً عن إعادتها، بسبب ترك أمر غير أساسي فيها أو زيادة شيء فيها. ولا يشرع سجود السهو في حالة العمد، لأنه يشرع جبرانا للنقص أو الزيادة، والعامد لا يعذر، فلا ينجبر خلل صلاته بسجوده، بخلاف الساهي. (الفقهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ٢/٢٦٤).

حكم سجود السهو

- ذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فِي الْمُعْتَمَدِ عِنْدَهُمْ إِلَى وُجُوبِ سُجُودِ السَّهْوِ. قَالَ الْحَنَفِيَّةُ: (يَجِبُ بَعْدَ السَّلاَمِ سَجْدَتَانِ بِتَشَهُّدٍ وَتَسْلِيمٍ بِتَرْكِ وَاجِبٍ وَإِنْ تَكَرَّرَ). (تبين الحقائق شرح كنز الدقائق فخر الدين الزيلعي ١/١٩١).

وقَالَ الْحَنَابِلَةُ: سُجُودُ السَّهْوِ لِمَا يُبْطِل عَمْدُهُ الصَّلاَةَ وَاجِبٌ، (المغني- ابن قدامة ١/٧٢٥) وَدَلِيلُهُمْ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا، فَلَمَّا انْفَتَلَ تَوَشْوَشَ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ زِيدَ فِي الصَّلاَةِ؟ قَالَ: لاَ، قَالُوا: فَإِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا، فَانْفَتَلَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِذَا زَادَ الرَّجُل أَوْ نَقَصَ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ. أخرجه مسلم

وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى، أَثَلاَثًا أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْل أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلاَتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لأَِرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ. أخرجه مسلم.

وَجْهُ الدَّلاَلَةِ فِي الْحَدِيثَيْنِ أَنَّهُمَا اشْتَمَلاَ عَلَى الأَْمْرِ الْمُقْتَضِي لِلْوُجُوبِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٤/٢٣٤).

وَمَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ: أَنَّ سُجُودَ السَّهْوِ سُنَّةٌ سَوَاءٌ كَانَ قَبْلِيًّا أَمْ بَعْدِيًّا وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ قال العلامة الدسوقي: مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ مِنْ سُنِّيَّةِ السُّجُودِ لِلسَّهْوِ سَوَاءٌ كَانَ قَبْلِيًّا أَوْ بَعْدِيًّا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ الْمَذْهَبِ وَقِيلَ بِوُجُوبِ الْقَبْلِيِّ قَالَ فِي الشَّامِلِ وَهُوَ مُقْتَضَى الْمَذْهَبِ. (حَاشِيَةُ الدسوقي على الشرح الكبير ٣/٢٣).

وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ وَهُوَ رِوَايَةٌ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ إِلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ. لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَتِ الرَّكْعَةُ نَافِلَةً وَالسَّجْدَتَانِ. جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود صحيح أبي داود رقم ٩٣٩ قالوا: الصارف لأحاديثه عن الوجوب ما في بعضها كانت الركعة له نافلة والسجدتان (حاشية عميرة ١/٢٢٣).

والمقصود من ذلك، هو السهو الواقع في الأركان والواجبات، لا المستحبات والمسنونات، فالسجود في الأخيرة مستحب؛ لوجود القرينة الصارفة عن الوجوب فيها، وهي: جواز تركها عمداً، فيجوز

سجود السهو

إعداد/ د. حمدي طه

تركها سهواً ولا تحتاج إلى سجود إلا استحباب.

أسبابُ سُجود السَّهْو

اختلف الفقهاء في أسباب سجود السهو في الصلاة علي نحو مبسوط في كتب المذاهب ليس هنا محل ذكره خلاصته أن الأسباب ثلاثة يشترك فيها الأمام والمأموم وهي الزيادة.النقص.الشك ويزيد المأموم بسبب وهو متابعة الإمام (انظر في هذا الدين الخالص للشيخ: محمود خطاب السّبكى ١/٢٨٨ وما بعدها).

الأحاديث الصحيحة التي عليها مدار باب سجود السهو:

قال النووي: فرع في بيان الأحاديث الصحيحة التي عليها مدار باب سجود السهو وعنها تتشعب مذاهب العلماء وهى ستة أحاديث :

أحدها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا نودي بالأذان أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع الأذان فإذا قضي الأذان أقبل، فإذا ثوب بها أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلي، فإذا لم يدر أحدكم كم صلى فليسجد سجدتين وهو جالس" رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

وفي رواية لأبي داود "فليسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم".

الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي- إما الظهر وإما العصر- فسلم في ركعتين ثم أتى جذعًا في قبلة المسجد فاستند إليها وخرج سرعان الناس، فقام ذو اليدين فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينًا وشمالاً، فقال: ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: صدق؛ لم تصل إلا ركعتين، فصلى ركعتين وسلم، ثم كبر ثم سجد، ثم كبر فرفع، ثم كبر وسجد ثم كبر ورفع". رواه مسلم، ورواه مسلم أيضًا من حديث عمران بن الحصين ببعض معناه وقال فيه "سلم من ثلاث ركعات فلما قيل له، صلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم".

(الثالث) عن عبد الله بن بحينة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "قام من صلاة الظهر وعليه جلوس، فلما أتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس". رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

(الرابع) عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال إبراهيم: زاد أو نقص- فلما سلم قيل له: يا رسول الله؛ أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: صليت كذا وكذا، فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: "إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسجد سجدتين". رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

وفي رواية للبخاري "ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين"، وفي رواية لمسلم "فليتحر الذي يرى أنه صواب"، وفي رواية لهما عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلى الظهر خمسًا فقيل: أزيد في الصلاة؟ فقال: وما ذاك؟ قالوا: صليت خمسًا فسجد سجدتين".

(الخامس) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق.

(السادس) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سها أحدكم في صلاته فلم يدر واحدة صلى أم اثنتين فليبن على واحدة، فإن لم يدر اثنتين صلى أم ثلاثا فليبن على اثنتين، فإن لم يدر أثلاثا صلى أم أربعًا. فليبن على ثلاث وليسجد سجدتين قبل أن يسلم" رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

فهذه الأحاديث الستة هي عمدة باب سجود السهو، وفى الباب أحاديث بمعناها (المجموع ٤/١٠٦ وما بعدها بتصرف يسير).

وللحديث بقية إن شاء الله.

البلاغة في

بلاغة القرآن الكريم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قال الله تعالى في سورة فصلت: «كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون» (فصلت: ٢) وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

فالقرآن معجزة النبي والله تعالى الحكيم قد أنزله بلسان عربي مبين، وله حكمة في ذلك، فالعربية تسع أشياء لا تسعها اللغات الأخرى، وبها من الأسرار ما اختصت به، فيندب للعالم وطالب العلم أن يفتش في بلاغة الكتاب الكريم، معتمدا في ذلك على أقوال السلف، فلو تذوق لغة القرآن لندم على عمر قد أمضاه في غيره.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية لما حُبس وتفرغ للتفكر في آيات القرآن وأسراره البلاغية والمعنوية تمنى أن لو كان قضى حياته في ذا الأمر.

وإننا بصدد الوقوف على شيء يسير مما تضمنه كتاب الله من البلاغة.

ونبدأ بسورة الفاتحة:

أولاً: في (بسم الله الرحمن الرحيم) إيجاز بحذف المبتدأ-والتقدير لابد أن يكون مناسبًا للمقام، فمقام القراءة يؤدي إلى التقدير بـ(بسم الله الرحمن الرحيم قراءتي)، ومقام الكتابة يقتضي تقدير (بسم الله الرحمن الرحيم كتابتي)، ومقام الرقية-والرقية مشروعة بالفاتحة كما ثبت في حديث أبي سعيد عند أحمد وغيره- يستلزم تقدير (بسم الله الرحمن الرحيم رقيتي).

والحذف لتكرار استعمال البسملة، والتقدير بالجملة الاسمية أولى من الفعلية؛ أن تقدر بـ(بسم الله الرحمن الرحيم أبدأ)؛ لأن الاسمية أقوى ثبوتًا-وتأخير المبتدأ (قراءتي أو...) مندوب للتبرك بالبدء بلفظ الجلالة.

ثانيًا: في (الحمد لله رب العالمين) حُسن افتتاح بالحمد، وهو الثناء على الله مربِي العالمين بنعمه -وهي جملة خبرية لفظا إنشائية معنى، فالمعنى الأمر بالحمد والتقدير: قولوا الحمد لله- وعبر بالحمد بدلاً عن الشكر؛ لأن الحمد أعم من جهة أنه كائن لنعم الله تعالى، وكذا لأسمائه وصفاته بخلاف لفظ الشكر المختص بالنعم فحسب.

و(ال) في (الحمد) للاستغراق.

ثالثًا: في (الرحمن الرحيم): هما اسمان مشتقان من نفس المادة (رحم) جُمعا معًا تأكيدًا لرحمة الله-وقد بدأ بالرحمن لعموم الرحمة في ذا اللفظ لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم من جهة الخلق والرزق والتدبير، ولا يجوز للمخلوق التسمّي به

سورة الفاتحة

إعداد/ د. عبد الحكيم حسام الدين

وثنَّى بالرحيم- وذا اللفظ دال على خصوص رحمته بالمؤمنين من جهة المغفرة وقبول العمل ودخول الجنة.

رابعًا: في (مالك يوم الدين): جمع بين قراءتي النبي (مالك) و (ملك) بيان لأن كل شيء في ذا اليوم تحت مشيئته هو الله الواحد القهار، وأن مآل مرتكب الكبيرة الذي لم يعاقب بها في الدنيا ومات ولم يتب منها صائر إليه تعالى؛ إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه.

وذكر الله القيامة بلفظ الدين وهو الجزاء.

خامسًا: في (إياك نعبد وإياك نستعين) التفات من الغيبة للخطاب؛ إذ بغير الالتفات تكون الآية (إياه نعبد) وذا الالتفات للتنبيه على توحيد الألوهية (القصد والطلب) بعد ذكر توحيد الربوبية والأسماء والصفات (المعرفة والإثبات)-وبالآية أسلوب قصر بتقديم المفعول لتخصيص العبادة لله ونفيها عمن سواه-.

والعطف من باب عطف الخاص على العام؛ فالاستعانة من أنواع العبادة، وهذا النوع من العطف كائن في (من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) (البقرة: ٩٨)، فعطف هذين الملكين على الملائكة وهما من جملتهم وكذا في (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالعمل من الإيمان، وليست الواو للمغايرة خلافًا للمرجئة-والآية بصيغة الجمع بيان لقصور الإنسان بمفرده أن يكلم الخالق، فلا يستقيم له الأمر حتى يكون في سلك المؤمنين كما قال: (واعتصموا بحبل الله جميعًا) (آل عمران: ١٠٣).

سادسًا في (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم..) جملة إنشائية للدعاء وهو العبادة كما قال النبي في حديث النعمان: (الدعاء هو العبادة) رواه أبو داود وصححه الألباني.

ونسب الإنعام لله ولم ينسب له الغضب والإضلال فلم يقل (الذين غضبت عليهم) أو (أضللتهم) فإنما هذا من باب الأدب في التحدث معه تعالى، لكن من صفات الله الغضب صفة نثبتها لله من غير تشبيه ولا تعطيل (من لعنه الله وغضب عليه) (المائدة: ٦٠)، كما أن الهداية والإضلال كليهما بيد الله، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، كما قال (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) (الأعراف: ١٧٨).

-و(صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من (الصراط المستقيم)، وهذا تفسير وتصريح لما أبهم -وفيها إيجاز بحذف كلمة (صراط)، والتقدير (غير صراط المغضوب عليهم).

وطلب الهداية في الآية المراد به الدوام، أتى بحرف الجر (عليهم) للعموم.

و(المغضوب عليهم) كناية عن اليهود و(الضالين) كناية عن النصارى؛ كما فسر النبي ذا في حديث عدي بن حاتم عند أحمد.

والحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة المسلمة

الأسرة المسلمة إيمان وأخلاق

الحلقة الأولى

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله وصحابته الغر الميامين وبعد.

فإن الغرب قد شعر أن الناس في العالم الإسلامي يأبون أن يجعلوا عبوديتهم وولاءهم لغير الله، ومن هنا كان اقتحامهم عالم الأسرة التي تمثل أساس المجتمع الإسلامي.

ولهذا فإن الغرب يتبنى "سياسة تفكيك المجتمعات" أي جعل أهلها شيعًا وأحزابًا، وهي السياسة الفرعونية التي تعبر عن الطاغوتية والاستعلاء، «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» (القصص:٤).

ولكي تفكك هذه المجتمعات فإنها تسعى إلى ضرب مواطن القوة التي تحول دون اختراق المجتمعات الإسلامية، وأحد أهم مواطن القوة في العالم الإسلامي هو نظام الأسرة الذي يحفظ للمجتمع قوته وتماسكه، وتبدو الهجمة الغربية الآن عبر تسيّدها وهمينتها وشرائها للنخب العنكبوتية، الذين يتبنون طريقة التشكيك في قواعد هذا الدين وثوابته، والتشكيك في رجاله ونقلة حديثه وسنته، بل والتشكيك في تقوى الصحابة وقادتهم والتابعين ونياتهم، فتجد أحد هؤلاء النخبويين المغمورين يثير الحديث المعكوس في كل ما هو من فضائل هذا الدين، فتجد من يتبنى الهجوم على الحجاب ولم يهاجم التبرج والسفور الذي أحدث في الأمة خلخلة وترجلا وتبذُّلا للمرأة وتخنثا للشباب، وتجد من ينكر صيام عاشوراء لعلمهم أن التعود على نوافل الصيام يهذب الشهوة عند الشباب، ثم بعد ذلك يبيح العلاقة المحرمة بين الرجل والمرأة، وهذه الهجمة تؤكد أن الغرب ووكلاءه في المنطقة ينتقلون من التخطيط والإعداد للغزو الفكري والقيمي للعالم الإسلامي إلى التنفيذ منتهزين لحظة تاريخية – إنما هي القوة المستبدة للغرب وضعف العالم الإسلامي. إنها حرب حقيقية تحتاج إلى وعي وجهاد بالقرآن والكلمة لمدافعتها ورد خطرها عن مجتمعنا الإسلامي. وقد كان لمجهودهم الدؤوب الأثر على تفكك كثير من الأسر بسبب البعد عن الهدي النبوي؛ مما تمخض عن مفاهيم خاطئة في الزواج والعشرة بين الأزواج أدت إلى الشقاق والطلاق وتشرد الذرية، وتهتك العلاقات بين الأسر وذوي الأرحام، ولن ينصلح حال الأمة إلا بالتمسك بهدي نبيها الذي سعدت به ردحا من الزمن في قرون متطاولة.

لابد أن يكون الزواج على السُّنَّة:

هيا ندافع عن أسرتنا ومصدر قوتنا، ونبني الأسرة بناءً

صحيحًا، فيعتبر الاختيار قبل الزواج عاملا مهماً لبناء الأسرة، وهناك عدة صفات يتم عليها الاختيار، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، عن ذلك بقوله: «تنكح المرأة لأربع خصال: لمالها، وجمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»، ومعنى (ذات الدين) أي: الملتزمة بتعاليم الدين، بالمحافظة على العبادة، واجتناب ما نهى الله عنه، وهو أفضل ما ينبغي توفره في الزوجين، أن يكون ملتزمًا بشرائع الإسلام في حياته فلا يظلم زوجته، فإن أحبَها أكرمها وإن لم يحبها لم يظلمها ولم يُهنها. ويستحب أن يكون من عائلة طيبة، ونسب معروف، فإذا تقدم للمرأة رجلان درجتهما في الدين واحدة، فيُقدَم صاحب الأسرة الطيبة والعائلة المعروفة بالمحافظة على أمر الله تبارك وتعالى ما دام الآخر لا يفضله في الدين لأنَ صلاح أقارب الزوج يسري إلى أولاده ويستحب أيضا أن يكون هناك قبول من الرجل للمرأة في المظهر لقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: خير النساء من تسرك إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك.(صحيح) عن عبد الله بن سلام. (السلسلة الصحيحة ١٨٣٨).

وينبغي أن يكون اختيار المرأة لزوجها على هذا الميزان لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/١١٢).

قَالَ عَطَاءٌ: "مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: كُلُّ تَزْوِيجٍ عَلَى غَيْرِ هُدًى حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". حلية الأولياء (١٩٧/٥).

- التدقيق عند الاختيار:

(خطب رجل من ابن عبّاس رضي الله عنه يتيمة كانت عنده فقال له: لا أرضاها لك، قال: ولِم وهي في دارك نشأت؟ قال: إنها تتشرَف، (أي ليست من الشرف أن تكون لك) قال: لا أبالي، فقال له: الآن لا أرضاك لها).وذلك لما علم ابن عباس أن همة الرجل وضيعة. (أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٥٧).

- عندما تختار لابنتك

عن ثَابتِ الْبُنَانيِّ، قَالَ: "خَطَبَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ابْنَتَهُ الدَّرْدَاءَ فَرَدَّهُ، فَقَالَ رَجُلٌ منْ جُلَسَاءِ يَزِيدَ: أَصْلَحَكَ اللهُ، تَأْذَنُ لي أَنْ أَتَزَوَّجَهَا؟ قَالَ: «أَغْرِبْ وَيْلَكَ» قَالَ: فَائْذَنْ لَي أَصْلَحَكَ اللهُ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَخَطَبَهَا فَأَنْكَحَهَا أَبُو الدَّرْدَاءِ الرَّجُلَ، قَالَ: فَسَارَ ذَلكَ في النَّاس: أَنَّ يَزِيدَ خَطَبَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَرَدَّهُ، وَخَطَبَ إِلَيْه رَجُلٌ من ضُعَفَاءِ الْمُسْلمينَ فَأَنْكَحَهُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «إِنِّي نَظَرْتُ للدَّرْدَاءِ، مَا ظَنُّكُمْ بالدَّرْدَاءِ إِذَا قَامَتْ عَلَى رَأْسهَا الْخِصْيَانُ؟ وَنَظَرَتْ فِي بُيُوتٍ يُلْتَمَعُ فيهَا بَصَرُهَا، أَيْنَ دينُهَا منْهَا يَوْمَئذ؟». حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢١٥/١). فبريق الدنيا ولمعانه كفيل أن يشغل المرء عن دينه وآخرته، فما أحلى بريقها وأشد حريقها.

ولهذا تدبر أبو الدرداء فيما يصلح ابنته في دنياها وأخراها. وهذه المبادئ ورثوها من قول وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. إليك نموذجا مباركًا ممن امتثلوا ذلك الهدي فكسبوا كثيرا ولم يخيبوا ولم يخسروا.

وهكذا يعرض عن تزويج ابنته من خليفة ابن خليفة ويوافق على تزويجها من رجل كما قالت الرواية "من ضعفاء المسلمين"، حرصًا على دينها، فالإنسان حين يضيع دينه فالحشرة أفضل منه.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الضعفاء:«هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلاَّ بِضُعَفَائكُمْ». صحيح البخاري (٣٧/٤) عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْد.

وكان يقول:" أبغوني ضعفاءكم فَإنَّكُم إنَّمَا ترزقون وتنصرون بضعفائكم". أي اطلبوا إليَّ ضعفاءكم وأعينوني على طلبهم. واطلبوني في ضعفائكم؛ أي أنه يجلس معهم ولا يترفع عليهم. انتهى. (قوت المغتذي على جامع الترمذي (٤٣٣/١) للسيوطي).

ولما ترفَعت إحدى المسلمات عن صاحب الدين من ضعفاء المسلمين نزل الوحي يعاتبها:

- عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، قَالَتْ: خَطَبَنِي

عدَّةٌ منْ قُرَيْش، فَأَرْسَلْتُ أُخْتي حَمْنَةَ إلَى رَسُول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أَسْتَشيرُهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «أَيْنَ هيَ ممَّنْ يُعلِّمُهَا كتَابَ رَبِّهَا وَسُنَّةَ نَبِيِّهَا؟» قَالَتْ: وَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ؟» قَالَ: فَغَضِبَتْ حَمْنَةُ غَضَبًا شَديدًا، وَقَالَتْ: يَا رَسُول اللَّه، أَتُزَوِّجُ بِنْتَ عَمَّتكَ مَوْلَاكَ؟ قَالَتْ: جَاءَتْني فَأَعْلَمَتْني فَغَضِبْتُ أَشَدَّ منْ غَضَبهَا، وَقُلْتُ أَشَدَّ منْ قَوْلهَا، فَأَنْزَلَ اللَّه تعالى:

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (الأحزاب: ٣٦)، قَالَتْ: فَأَرْسَلْتُ إلَى رَسُول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وَقُلْتُ: إنِّي أَسْتَغْفرُ اللَّه وَأُطيعُ اللَّه وَرَسُولَهُ، افْعَلْ مَا رَأَيْتَ، فَزَوَّجَني زَيْدًا. (المعجم الكبير للطبراني ٣٩/٢٤).

ونتيجة لتسليمها وامتثالها كافأها الله سبحانه وتعالى أعظم مكافأة على مستوى البشرية فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل جاءه الأمر من الله بأن يتزوجها. قال تعالى: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا» (الأحزاب: ٣٧).

قال أنس رضي الله عنه كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَاليكُنَّ، وَزَوَّجَني اللَّه تَعَالَى منْ فَوْق سَبْعِ سَمَوَاتٍ" (صحيح البخاري: ١٢٤/٩، ومسلم ١٠٤٨/٢).

وعَنْ أَنَس أيضًا رضي الله عنه، وَهَذَا حَديثُ بَهْزٍ، قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لزَيْد: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهيَ تُخَمِّرُ عَجينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ في صَدْري، حَتَّى مَا أَسْتَطيعُ أَنْ أَنْظُرَ إلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْري، وَنَكَصْتُ عَلَى عَقبي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَذْكُرُك، قَالَتْ: مَا أَنَا بصَانعَة شَيْئًا حَتَّى أُوَامرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إلَى مَسْجدهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بغَيْر إذْنٍ، قَالَ، فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقيَ رجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ في الْبَيْت بَعْدَ الطَّعَام، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نسَائه يُسَلِّمُ عَلَيْهنَّ، وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّه، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْري أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَني، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْني وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحجَابُ، قَالَ: وَوُعظَ الْقَوْمُ بمَا وُعظُوا به. زَادَ ابْنُ رَافع في حَديثه: «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ» (الأحزاب: ٥٣) إلَى قَوْله «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» (الأحزاب: ٥٣).

فهل يثق أهل الإسلام في أنهم لو التزموا شرع الله وآداب الإسلام لأغدق الله عليهم وأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم؟

وعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً منَ الأَنْصَار إلَى أَبيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: "فَنَعَمْ إذًا" قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إلَى امْرَأَته فَذَكَرَ ذَلكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَاهَا اللَّه إذًا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم إلَّا جُلَيْبِيبًا وَقَدْ مَنَعْنَاهَا منْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ قَالَ: وَالْجَاريَةُ في سترهَا تَسْتَمعُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُريدُ أَنْ يُخْبرَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم بذَلكَ، فَقَالَت الْجَاريَةُ: أَتُريدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم أَمْرَهُ؟ إنْ كَانَ قَدْ رَضيَهُ لَكُمْ، فَأَنْكحُوهُ قَالَ: فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا، وَقَالَا: صَدَقْت. فَذَهَبَ أَبُوهَا إلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إنْ كُنْتَ قَدْ رَضيتَهُ فَقَدْ رَضينَاهُ. قَالَ: "فَإنِّي قَدْ رَضيتُهُ". فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فُزِّعَ أَهْلُ الْمَدينَة، فَرَكبَ جُلَيْبِيبٌ فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتلَ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ منَ الْمُشْركينَ قَدْ قَتَلَهُمْ، قَالَ أَنَسٌ: "فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإنَّهَا لَمنْ أَنْفَق ثَيِّبٍ في الْمَدينَة". مسند أحمد (٣٨٥/١٩). يعني راج سوقها حتى كانت أكثر النساء يطلبها الخُطاب.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٩٥)

إعداد/ علي حشيش

قصة أحداث عاشوراء من بدء الخلق حتى يوم القيامة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة قصة أحداث عاشوراء والتي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وذلك إذا ما جاء اليوم العاشر من المحرم من كل عام، حيث يفرح بها كثير من الجهال، الذين ضل سعيهم وقل عملهم، حيث غرهم ما في هذه القصة من المجازفات المختلفة المصنوعة المنسوبة كذبًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: متن القصة:

رُوِيَ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَى بَنِي إسْرَائِيل صَوْمَ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَهُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَصُومُوهُ وَوَسِّعُوا عَلَى أَهْلِيكُمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِه مِنْ مالِه يَوْمَ عَاشُوراء وُسِّعَ عَلَيْهِ سَائِرَ سَنَتِه، فَصُومُوهُ فَإِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي تَابَ اللَّهُ فِيهِ عَلَى آدَمَ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي رَفَعَ اللَّهُ فِيهِ إِدْرِيسَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي نَجَّى فِيهِ إِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَخْرَجَ فِيهِ نُوحًا مِنَ السَّفِينَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، وَفِيهِ فَدَى اللَّهُ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الذَّبْحِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ يُوسُفَ مِنَ السِّجْنِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي رَدَّ اللَّهُ عَلَى يَعْقُوبَ بَصَرَهُ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي كَشَفَ اللَّهُ فِيهِ عَنْ أَيُّوبَ الْبَلاءَ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ فِيهِ يُونُسَ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي فَلَقَ اللَّهُ فِيهِ الْبَحْرَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي غَفَرَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ ذَنْبَهُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ عَبَرَ مُوسَى الْبَحْرَ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ أَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى التَّوْبَةَ عَلَى قَوْمِ يُونُسَ، فَمَنْ صَامَ هَذَا الْيَوْمَ كَانَتْ لَهُ كَفَّارَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَوَّلُ يَوْمٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَأَوَّلُ مَطَرٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَأَوَّلُ رَحْمَةٍ نَزَلَتْ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ، وَهُوَ صَوْمُ الأَنْبِيَاءِ.

وَمَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ فَكَأَنَّمَا عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى مثل عِبَادَةِ أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ الْحَمْدُ مَرَّةً وَخَمْسِينَ مَرَّةً قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ غَفَرَ اللَّهُ خَمْسِينَ عَامًا مَاضِيًا وَخَمْسِينَ عَامًا مُسْتَقْبَلا وَبَنَى لَهُ فِي الْمَلأِ الأَعْلَى أَلْفَ أَلْفِ مِنْبَرٍ مِنْ نُورٍ، وَمَنْ سَقَى شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فَكَأَنَّمَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنْ أَشْبَعَ أَهْلَ بَيْتٍ مَسَاكِينَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ.

وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَكَأَنَّمَا لَمْ يَرُدَّ سَائِلا قَطُّ. وَمَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَمْ يَمْرَضْ مَرَضًا إِلا مَرَضَ الْمَوْتِ، وَمَنِ اكْتَحَلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَمْ تَرْمَدْ عَيْنُهُ تِلْكَ السَّنَةَ كُلَّهَا، وَمَنْ أَمَرَّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ فَكَأَنَّمَا بَرَّ يَتَامَى وَلَدِ آدَمَ كُلِّهِمْ، وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أُعْطِيَ ثَوَابَ عَشَرَةِ آلافِ مَلَكٍ، وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أُعْطِيَ ثَوَابَ أَلْفِ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ، وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أُعْطِيَ ثَوَابَ أَلْفِ شَهِيدٍ.

وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَفِيهِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَالْجِبَالَ وَالْبِحَارَ، وَخَلَقَ الْعَرْشَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَلَقَ الْقَلَمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَلَقَ اللَّوْحَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَلَقَ جِبْرِيلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَرَفَعَ عِيسَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَأَعْطَى سُلَيْمَانَ الْمُلْكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ

يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَمَنْ عَادَ مَرِيضًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَكَأَنَّمَا عَادَ مَرْضَى وَلَدِ آدَمَ كُلِّهِمْ». اهـ

ثانيا: التخريج:

١- قال الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص٩٧) (ح٣٤) من كتاب «الصيام: رواه ابن ناصر عن أبي هريرة مرفوعًا، وساقه في اللآلئ مطولاً، وفيه من الكذب على الله وعلى رسوله ما يقشعر له الجلد، فلعن الله الكذابين، وهو موضوع بلا شك». اهـ.

٢- قلت: وابن ناصر الذي أخرج لنا الحديث وبيَّن لنا سنده ومن اسند فقال أحال، قد ذكره الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١٠٧٩/١٢٨٩/٤) في أول الطبقة السادسة عشرة فقال: «محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ الإمام محدث العراق أبو الفضل السلامي، قال ابن الجوزي: كان ثقة حافظًا ضابطًا من أهل السنة لا مغمز فيه، تولى تسميعي، وسمعت بقراءته مسند أحمد والكتب الكبار، وعنه أخذت علم الحديث». اهـ.

٣- قلت: وقد أخذ عنه الإمام ابن الجوزي هذا الحديث الذي جاءت به قصة «أحداث عاشوراء» فقال في «الموضوعات» (١٩٩/٢): حدثنا أبو الفضل محمد بن ناصر من لفظه وكتابه مرتين قال: أنبأنا أحمد بن الحسين بن قريش، أنبأنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري، وقرأت على أبي القاسم الحريري، عن أبي طالب العشاري، حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور البرسري، حدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا سُريج بن النعمان، حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم... الحديث.

٤- وأورده الإمام السيوطي في «اللآلئ» (١٠٩/٢) من رواية أبي الفضل بن ناصر عن أبي هريرة مرفوعًا.

قلت: إلا أنه جاء في السند: «حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا ابن أبي الزناد». اهـ.

٥- وبالمقارنة بين السند الذي أخرجه الإمام ابن الجوزي عن شيخه أبي الفضل بن ناصر في «الموضوعات»، وبين السند الذي نقله الإمام السيوطي من رواية أبي الفضل ابن ناصر في «اللآلئ» (ط- دار المعرفة- بيروت)، يتبين أن هناك تصحيفًا في السند، ويحسبه من لا دراية له بالصناعة الحديثية أنه هين، ولكنه عند أهل هذا الفن عظيم، حيث قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١٩٣/٢) النوع (٣٥): «معرفة المصحف: هو فن جليل مهم وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ». اهـ.

قلتُ: وهو باعتبار موقعه: تصحيف إسناد، حيث إن الراوي «سريج بن النعمان» بالسين صُحف إلى «شريح بن النعمان» بالشين، وهذا ليس بالأمر الهين، واليك البرهان:

أ- فالسند المصحف في رواية «اللآلئ»: «حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا ابن أبي الزناد». اهـ.

ب- بالبحث عن الراوي شريح بن النعمان وجدنا أنه لم يرو عن ابن أبي الزناد، كذلك لم يرو عنه إبراهيم الحربي.

قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٩٠/٤): «شريح بن النعمان الصائدي الكوفي: روى عن علي، وروى عنه ابنه سعيد، وسعيد بن عمرو بن أشوع وأبو إسحاق السبيعي، وقيل إن أبا إسحاق لم يسمع منه إنما سمع من ابن أشوع عنه». اهـ.

قلت: كذا قاله الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٧١١/٣٢٧/٨) وقال: «روى له الأربعة حديثًا واحدًا في الأضحية، وقد وقع لنا بعلو عنه من حديث علي بن أبي طالب». اهـ.

ج- أما الراوي «سُريح بن النعمان» بالسين فبالبحث قد وجدنا أنه روى عن ابن أبي الزناد كذلك روى عنه إبراهيم الحربي، قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢١٧٢/٥٨/٧): «سريح بن النعمان بن مروان الجوهري اللؤلؤي أبو الحسن البغدادي روى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وآخرين، وروى عنه إبراهيم بن إسحاق الحربي وآخرين». اهـ.

د- وهما أيضًا يختلفان في المراتب وفي الطبقات:

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٨٥/١):

«سريح بن النعمان أبو الحسن البغدادي ثقة يهم قليلاً من كبار العاشرة». اهـ. قلتُ: والعاشرة: هي طبقة كبار الآخذين عن تبع الأتباع.

أمَّا شريح بن النعمان قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٣٥٠): «صدوق من الثالثة». اهـ.

قلت: والثالثة هي الطبقة الوسطى من التابعين كما هو مبين من منهج الحافظ في «التقريب».

ثالثًا: التحقيق:

١- قال الإمام السيوطي في «اللآلئ» (٢/ ١١٠) بعد أن أورد حديث قصة أحداث عاشوراء من رواية أبي الفضل محمد بن ناصر عن أبي هريرة مرفوعًا: «الحديث موضوع ورجاله ثقات والظاهر أن بعض المتأخرين وضعه وركبه على هذا الإسناد». اهـ.

قلتُ: السند من أبي الفضل بن ناصر إلى النبي صلى الله عليه وسلم عشارى أي بين راويه ابن ناصر والنبي صلى الله عليه وسلم عشرة رواة كما هو مبين من التخريج آنفًا وبتطبيق قول الإمام السيوطي لمعرفة المتقدمين من المتأخرين نجد أن المتقدمين الثقات الذين ركب عليهم بعض المتأخرين هذا الإسناد هم: «أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة».

وبرهان ذلك ما قاله الإمام الحاكم في «معرفة علوم الحديث» النوع (١٨) قال: «حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، قال: حدثنا محمد بن سليمان قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أصح أسانيد أبي هريرة: أبو الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة». اهـ.

قلتُ: أما ما دونهم من الرواة فظهرت فيهم العلل كما سنبين:

٢- فقد أورد ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (٢/ ١٥١) هذا الخبر الذي جاءت به قصة أحداث عاشوراء من رواية ابن ناصر عن أبي هريرة مرفوعًا، ثم نقل قول الإمام السيوطي في «اللآلئ» بأنه حديث موضوع ورجاله ثقات والظاهر أن بعض المتأخرين وضعه وركبه على هذا الإسناد. ثم نقل عن الإمام الذهبي قوله: «أُدخل على أبي طالب العشاري فحدث به بسلامة باطن، وفي سنده أبو بكر النجاد، وقد عمي بآخره، وجوز الخطيب أن يكون أدخل عليه شيء فيحتمل أن يكون هذا مما أدخل عليه». اهـ.

٣- قلت: وبيان ذلك أن الحافظ الخطيب البغدادي أورد أبا بكر النجاد في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٨٩/ ١٨٧٩) فقال: «حدثني علي بن محمد بن نصر قال: سمعت حمزة بن يوسف يقول: سأل أبو سعد الإسماعيلي أبا الحسن الدارقطني عن أحمد بن سلمان النجاد فقال: قد حدث أحمد بن سلمان من كتاب غيره بما لم يكن في أصوله». اهـ.

فقال الخطيب البغدادي: «كان قد كُف بصره في آخر عمره، فلعل بعض طلبة الحديث قرأ ما ذكره الدارقطني». اهـ.

قلت: وهذه من العلل الخفية التي لا يصل إليها إلا جهابذة الصناعة الحديثية مثل: الإمام الحافظ الدارقطني، والإمام الحافظ الخطيب البغدادي، والإمام الحافظ الذهبي.

٤- ولقد قام الإمام ابن الجوزي بنقد إسناد ومتن هذا الخبر الذي جاءت به قصة أحداث عاشوراء فقال في «الموضوعات» (٢/ ٢٠١): «هذا حديث لا يشك عاقل في وضعه، ولقد أبدع من وضعه وكشف القناع ولم يستحي وأتى فيه بالمستحيل، وهو قوله: وأول يوم خلق الله يوم عاشوراء، وهذا تغفيل من واضعه لأنه إنما يسمى يوم عاشوراء إذ سبقه تسعة، وفيه من التحريف في مقادير الثواب الذي لا يليق بمحاسن الشريعة، وكيف يحسن أن يصوم الرجل يومًا، فيعطي ثواب من حج واعتمر وقتل شهيدًا وهذا مخالف لأصول الشرع ولو ناقشناه على شيء بعد شيء لطال، وما أظنه إلا دسَّ في أحاديث الثقات، وكان مع الذي رواه نوع تغفل ولا أحسب ذلك إلا في المتأخرين، وإن كان يحيى بن معين قد قال في ابن أبي الزناد: ليس بشيء ولا يحتج بحديثه، واسم أبي الزناد عبد الله بن ذكوان، واسم ابنه: عبد الرحمن، وكان ابن مهدي لا يحدث عنه، وقال أحمد هو مضطرب الحديث، وقال أبو حاتم لا يحتج به، فلعل بعض أهل الهوى قد أدخله في حديثه». اهـ.

قلت: وكل ما ذكره الإمام ابن الجوزي من أقوال أئمة الجرح والتعديل في عبد الرحمن بن أبي الزناد قد أخرجه الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه

«الجرح والتعديل» (٢٥٢/٢/٢).

وقد أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٥٦/٦).

٥- قلت: أما قول الإمام ابن الجوزي في ابن أبي الزناد: «فلعل بعض أهل الهوى قد أدخله في حديثه». اهـ.

فهذه علة أخرى قد بيَّن مكانها أئمة الجرح والتعديل، وبها يتبين دقة تحري هؤلاء الأئمة فقد ذكر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٥٦/٦): «قال عبد الله بن علي بن المديني عن أبيه: ما حدث ابن أبي الزناد بالمدينة فهو صحيح وما حدث ببغداد أفسده البغداديون ورأيت عبد الرحمن بن مهدي يخط على أحاديثه، وكان يقول في حديثه عن مشيختهم فلان وفلان وفلان قال ولقنه البغداديون عن فقهائهم». اهـ.

٦- قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على الخبر الذي جاءت به قصة أحداث عاشوراء نجد في السند: «حدثنا سُريح بن النعمان حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه».

وبما أن الحافظ المزي قال في «تهذيب الكمال» (٢١٧٢/٥٨/٧): «سريح بن النعمان أبو الحسن البغدادي». اهـ.

فهو بغدادي ولذلك ذكره الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤٧٩٤/٢١٧/٩): «سريح بن النعمان بغدادي الدار، وأخرج بسنده عن أحمد بن عبد الله العجلي قال: سريح بن النعمان يسكن بغداد».

وبما أن في السند قال سريح بن النعمان: حدثنا ابن أبي الزناد.

إذن تحديث ابن أبي الزناد لسريح كان ببغداد، وبما أن الإمام علي بن المديني وهو أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، قال: «وما حدث ابن أبي الزناد ببغداد أفسده البغداديون». اهـ.

وقال الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي: «لقنه البغداديون». اهـ.

قلت: وبهذا يصبح هذا الخبر الذي جاءت به القصة من الأخبار التي حدَّث بها ابن أبي الزناد ببغداد فهو مما أفسده البغداديون ومما لقنه البغداديون له.

٦- فائدة: لقد بين الإمام الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٦٠٢/٢) الجزء الثاني في «أصول علل الحديث» (القسم الثاني/النوع الثاني): «من ضُعِّف حديثه في بعض الأماكن دون بعض» فقال: «منهم عبد الرحمن بن أبي الزناد، قال يعقوب بن شيبة: سمعت علي بن المديني يضعف ما حدث به ابن أبي الزناد بالعراق». اهـ.

٧- فائدة أخرى: في نقد الإمام ابن الجوزي للمتن أكبر رد على مزاعم المستشرق «شاخت» وما ادعاه- جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن. اهـ.

رابعًا: شاهد آخر للقصة:

أخرج الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٢/٢) خبر هذه القصة من حديث ابن عباس مرفوعًا وهو خبر تالف آفته حبيب بن أبي حبيب قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٦٥/١): «كان يضع الحديث على الثقات لا تحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه إلا على سبيل القدح فيه، ثم أخرج له هذا الذي جاءت به قصة أحداث عاشوراء من حديث ابن عباس مرفوعًا ثم عقب عليه فقال: وهذا كله باطل لا أصل له». اهـ.

خامسًا: بدائل صحيحة في عاشوراء:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى قَالَ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. اهـ. (متفق عليه: البخاري: ٢٠٠٤، ومسلم: ١١٣٠).

وعن عَائِشَةَ رضي اللهُ عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ. (متفق عليه: البخاري: ٢٠٠١، ومسلم: ١١٢٥).

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

وجوه ووجوه

إعداد/ **صلاح عبد الخالق**

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فوجه الإنسان هو مرآة ما في جسمه يظهر عليه الأفراح والأحزان، وفيه أشرف الأعضاء وهو محل التكريم في الدنيا والآخرة ليس على أساس اللون، بل بطاعته وتقواه لخالقه جل في علاه؛ كما قال الله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّه عليمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات: ١٣).

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّه صَلَى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلا بِالتَّقْوَى». مسند أحمد (٢٣٤٨٩) وصحيح الترغيب (٢٩٦٣).

وجه الإنسان مكرم في الدنيا:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلاَ تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلاَ تُقَبِّحْ، وَلاَ تَهْجُرْ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَلاَ تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ: قَبَّحَكِ اللَّه» (سنن أبى داود ٢١٤٢، قال الألباني: حسن صحيح).

لا يُضرَب الوجه لا الزوجة ولا غيرها لا يُضرب على الوجه فالابن إذا أخطأ لا يُضرب على الوجه؛ لأن الوجه أشرف ما في الإنسان وهو واجهة البدن كله؛ فإذا ضُرب كان أذل للإنسان مما لو ضرب غير وجهه. ولهذا نهي عن ضرب الوجه وعن تقبيح الوجه قوله: لا تقبِّح، يعني لا تقل: أنت قبيحة أو قبَّح الله وجهك. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: ١/٣٢٧).

من الجهل أن نُعير أحدا بسواد الوجه:

عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ... رواه البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١).

وقوله: «فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ» أي: فعبتُ أمه ووصفتها بالسواد، حيث قلتُ له: يا ابن السوداء. منار القاري(١/١١٥).

أولا: الوجوه في الدنيا:

١- نور الوجه لأهل الطاعة:

قال تعالى: «رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ» (الفتح: ٢٩).

يعني: علامتهم في وجوههم من أثر السجود، وهذه السيما هي نور الوجه نور وجوههم من سجودهم لله عز وجل وليست العلامة التي تكون في الجبهة هذه العلامة ربما تكون دليلاً على كثرة السجود، ولكن العلامة الحقيقية هي نور الوجه. (شرح رياض الصالحين ابن عثيمين: ١/٤٣٢).

٢- شَرّ النَّاس ذُو الوَجْهَيْن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ» (روه البخاري ٧١٧٩، ومسلم: ٢٥٢٦).

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي الْوَجْهَيْنِ إِنَّهُ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ فَسَبَبُهُ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ نِفَاقٌ مَحْضٌ، وَكَذِبٌ وَخِدَاعٌ وَتَحَيُّلٌ عَلَى اطِّلَاعِهِ عَلَى أَسْرَارِ الطَّائِفَتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا يُرْضِيهَا وَيُظْهِرُ لَهَا أَنَّهُ مِنْهَا فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَهِيَ مُدَاهَنَةٌ مُحَرَّمَةٌ. (شرح النووي: ١٦/٧٩).

ثانيا: الوجوه عند الموت:

١- إهانة وإذلال أهل المعاصي والذنوب:

قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ) (محمد: ٢٧- ٢٨).

مشهد مُفزع مُهين وهم يحتضرون ولا حول لهم ولا قوة وهم في نهاية حياتهم على هذه الأرض. وفي مستهل حياتهم الأخرى هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار في لحظة الوفاة لحظة الضيق والكرب. (الظلال: ٦/٤٥٢).

فكيف يكون حالهم حين تحضرهم ملائكة العذاب لقبض أرواحهم، معهم مقامع من حديد يضربون بها وجوههم وظهروهم. ذلك العذاب بسبب أنهم سلكوا طريق النفاق، وكرهوا ما يُرضي الله من الإيمان والجهاد وغيرهما من الطاعات. (صفوة التفاسير: ٣/١٩٧).

٢- تكريم أهل التوحيد والاستقامة:

قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ » (فصلت: ٣٠- ٣٢).

ا- اعْلَمْ أَنَّ لَفْظَ الْبِشَارَةِ مُشْتَقٌّ مِنْ خَبَرٍ سَارٍّ يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي بَشَرَةِ الْوَجْهِ. (تفسير الرازي: ١٧/٢٧٨).

ب- (ثُمَّ استقاموا) أي: آمنوا بالله إيماناً صادقاً، وأخلصوا العمل له، ثم استقاموا على توحيد الله وطاعته، وثبتوا على ذلك حتى الممات. (صفوة التفاسير: ٢/١١٣).

ج- «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» عند الموت تتنزل عليهم الملائكة وتقول لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. إن المؤمن تخرج روحه بعرق الجبين، فقد يُشدد عليه عند الموت حتى يُكفر عنه ما بقي عليه من سيئات، ولكن مع ذلك فالملائكة تطمئنه وتقول له: لا تخف ولا تحزن فإنك قادم على رب غفور رحيم، اخرجي أيتها النفس الطيبة في روح وريحان، إلى رب غير غضبان، فتخرج روح المؤمن بسهولة، وإن كان قد يُعاني ويرشح جبينه عرقاً من شدة الموت فإن ذلك يكفر عنه سيئاته. (تفسير أحمد حطيبة: ٦/٤٠٤).

ثالثا: الوجوه يوم القيامة:

وجوه العصاة المجرمين الظالمين:

أولاً: لون الوجوه:

١- قال تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ » (آل عمران: ١٠٦).

أ- ستتعجب يوم القيامة؛ لأنك قد ترى إنسانًا كان أسود في الدنيا، وتجده أبيض في الآخرة، وتجد إنسانًا آخر كان لونه أبيض في الدنيا ثم صار أسود في الآخرة. (تفسير الشعراوي: ٣/١٦٦٩).

ب- «وتسود وجوه» وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة. (تفسير السعدي: ١/١٤٢).

٢- قال تعالى: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ » (عبس: ٤٠- ٤١).

أ- «عَلَيْهَا غَبَرَةٌ» أي: علاها الغبار والتراب، هي أصلها سوداء يوم القيامة، ومع ذلك تعلوها الغبرة. (سلسلة التفسير لمصطفى العدوي: ٧/٨٤).

ب- الْقَتَرَةُ سَوَادٌ كَالدُّخَانِ، وَلَا يُرَى أَوْحَشُ مِنَ اجْتِمَاعِ الْغَبَرَةِ وَالسَّوَادِ فِي الْوَجْهِ، وَكَأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَمَعَ فِي وُجُوهِهِمْ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْغَبَرَةِ، كَمَا جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. (مفاتيح الغيب: ٣١/٦٢١).

٣- قال تعالى: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ) (القيامة: ٢٤).

«وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ» أي: كالحة مسودة عابسة؛ وذلك لأن أرواح أصحابها كانت في الدنيا تعيش على ظلمة الكفر وعفن الذنوب ودخان المعاصي فانطبعت النفس على الوجه فهي باسرة حالكة عابسة. (أيسر التفاسير: ٥/٤٧٨).

ثانيًا: لون العيون:

قال تعالى: «وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا » (طه:١٠٢)، أي: سود الوجوه زرق العيون، كأقبح ما يكون الإنسان على هيئة. (تفسير حطيبة: ٧/٣١١).

- قال تعالى: «يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ » (الرحمن: ٤١).

- «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بسيمَاهُمْ» أَيْ: بِعَلَامَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ وقَتَادَةُ: يَعْرِفُونَهُمْ بِاسْوِدَادِ

الْوُجُوهِ وَزُرْقَةَ الْعُيُونِ. (تفسير ابن كثير: ٧/٤٩٩). النواصي مقدم الرأس، والأقدام معروفة، فتؤخذ رجله إلى ناصيته؛ هكذا يطوى طيًا إهانة له وخزياً له، فيؤخذ بالنواصي والأقدام، ويلقون في النار. (تفسير ابن عثيمين: الحجرات - الحديد ١/٣١٧).

ثالثا: المشي على الوجه إلى جهنم:

قال تعالى: « وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا » (الإسراء: ٩٧).

« وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القيامة على وُجُوهِهِمْ » أي يُسحبون يوم القيامة على وجوههم تجرُّهم الزبانية من أرجلهم إلى جهنم كما يُفعل في الدنيا بمن يُبالغ في هوانه وتعذيبه. (صفوة التفاسير: ٢/١٦٣).

رابعًا: الوجوه كالحة من شدة الاحتراق في النار:

قال تعالى: « وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ » (المؤمنون: ١٠٣- ١٠٤).

أ- أي تحرق وجوههم النار فيكلحون باحتراق شفاههم وتظهر أسنانهم وهو أبشع منظر وأسوأه. (أيسر التفاسير: ٣/٥٤٠).

ب- النَّارُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّه تَحْرِقُ شِفَاهَهُمْ، حَتَّى تَتَقَلَّصَ عَنْ أَسْنَانِهِمْ، كَمَا يُشَاهَدُ مَثَلُهُ فِي رَأْسِ الشَّاةِ الْمَشْوِيِّ فِي نَارٍ شَدِيدَةِ الْحَرِّ. أضواء البيان (٥/٣٥٧).

وجوه أهل السعادة والنعيم يوم القيامة:

أولاً: لون الوجه أبيض:

١- قال تعالى: « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (آل عمران: ١٠٦- ١٠٧).

أ- بياض الوجه وسواده حقيقتان فيوسم أهل الحق ببياض الوجوه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه ويمينه. (روح البيان: ٢/٦١).

قال تعالى: « يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (التحريم: ٨).

ب- «وأما الذين ابيضت وجوههم» فيُهنئون أكمل تهنئة ويُبشرون أعظم بشارة، وذلك أنهم يُبشرون بدخول الجنات ورضى ربهم ورحمته «ففي رحمة الله هم فيها خالدون»، وإذا كانوا خالدين في الرحمة، فالجنة أثر من آثار رحمته تعالى، فهم خالدون فيها بما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، في جوار أرحم الراحمين. (تفسير السعدي: ١/١٤٢).

ثانيًا: ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ:

قال تعالى: « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ » (عبس: ٣٨- ٣٩).

مضيئة، ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، أي: مسرورة بنيل كرامة الله والنعيم المتزايد، وهي وجوه المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقدموا من الخير والعمل الصالح ما ملأوا به صحفهم. (تفسير القاسمي: ٩/٤١١).

ثالثًا: في وجوههم نضرة النعيم:

قال تعالى: « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ» (المطففين: ٢٢- ٢٦).

(نَضْرَةَ النَّعِيم) أي: حُسن النعيم وبهاءه، أي التنعم، وأنتم تشاهدون الآن في الدنيا أن المنعمين المترفين وجوههم غير وجوه الكادحين العاملين. تجدها نضرة، تجدها حسنة، تجدها منعمة، فأهل الجنة تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي التنعم والسرور؛ لأنهم أسَر ما يكون، وأنعم ما يكون. (تفسير ابن عثيمين جزء عم: ١/١٠٤).

رابعًا: قمة السعادة النظر إلى وجه الملك:

قال تعالى: « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (القيامة: ٢٢-٢٣).

«إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» أَيْ: تَرَاهُ عَيَانًا، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، رَحِمَهُ اللَّه، فِي صَحِيحه (٧٤٣٥) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا». وَقَدْ ثَبَتَتْ رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ للَّه عَزَّ وَجَلَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي الْأَحَادِيث الصِّحَاحِ، مِنْ طُرُقٍ مُتَوَاتِرَةٍ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، لَا يُمْكِنُ دَفْعُهَا وَلَا مَنْعُهَا. (تفسير ابن كثير: ٨/٢٧٩).

نسأل الله أن يبيض وجوهنا ويختم بالباقيات الصالحات أعمارنا، ويحسن ختامنا أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

التربية الإسلامية في

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إن هذا القرآن ليس مجرد كلام يتلى، ولكنه دستور شامل، دستور للتربية، كما أنه دستور للحياة العملية، ولقد جاء هذا القرآن لا ليقرر عقيدة فحسب، ولا ليشرع شريعة فحسب، ولكن كذلك ليربي أمة، وينشئ مجتمعا.

ولقد كانت الأمم قبل الإسلام تسير على غير هدى، وكانت تخبط في ضروب الضلال والخرافات، فلما جاء الإسلام رباهم تربية دينية إسلامية صحيحة، أساسها الأخلاق الكريمة، والفضائل السامية، ووضع لها مناهج صالحة لكل زمان ومكان، تطهر النفوس، وتكفل لهم إسعاد الفرد والجماعة.

ولقد اتخذ الإسلام كل الوسائل التي تكفل لصاحبها أن يبلغ مرتبة الإنسانية الكاملة، في عقائده، وأقواله، وأفعاله.

فأما في الاعتقاد فقد طهر النفوس بالتوحيد، وخلصها من أرجاس الشرك وعبادة الأصنام والخرافات.

وأما الأقوال فقد نزه لسان المسلم عن الشرك بالله، وقول الزور، والكذب، والغيبة، والنميمة، والتنابز بالألقاب، وكل منكر من القول، فارتقى المسلم إلى درجة رفيعة عالية، فسلم المجتمع كله من شرور اللسان وآثامه.

وأما في الأفعال فكل عمل أمر أمره به، أو نهاه عنه، هو مما يرفع شأنه:

أمر بأداء الأمانات: من صلاة وصوم، وزكاة وحج، في أوقاتها، ليتعود الطاعة، وأمر العبد إذا أدى عملا أن يعتمد فيه على نفسه، وأن يجيده ويتقنه، وأمره بطلب العلوم النافعة، والاستعداد للأعداء استعدادا يساير الزمن، ويناسب العصر، لتسلم الأمة، ويهابها أعداؤها.

ونهى الأمة عن كل فعل رزيل: فحرم السرقة، والغصب، وقتل النفس، وغير ذلك، كما حرم على المسلم أنواع الفجور والأذى، ليصون نفسه، ويحافظ على سلامة المجتمع.

ولا شك أن الناس لو أخذوا بهدي القرآن، واتبعوا الرسول عليه السلام، لبلغوا الغاية في الرقي، ووصلوا إلى درجات العز والكرامة، والدليل على هذا أن المسلمين في العصر الأول حين اتبعوا منهج الإسلام وساروا عليه، بلغوا في مدة قصيرة ما لم تبلغه أمة من الأمم، فقد كان العرب جماعات ذليلة، فأعزها الإسلام، متفرقة فوحدها، ضعيفة فقواها، حتى سادت العالم، جاهلة فتعلمت وعلمت. (التربية الإسلامية، سماحة الشيخ عبد الله بن محمد الخليفي، إمام المسجد الحرام ص٢، ٣).

وقد رأى إخواني المشرفون على مجلتنا الغراء- التوحيد- نفع الله بها، وأثاب القائمين عليها، أن يسندوا إلي الكتابة في التربية، فأجبتهم لما رأوا، وأسأل الله أن يجعلني خيرًا مما يظنون، وأن يغفر لي ما لا يعلمون، وأن يفتح عليَّ في الكتابة بما ينتفع به كل قارئ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأبدأ ببيان الركائز التي ربى الإسلام عليها الشخصية المسلمة، وهي التي بيَّنها الله تعالى في قوله في سورة الأحزاب:

«إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٣٥).

عَنْ أُمّ عُمَارَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنه أَنَّهَا أَتَت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» الآيَةَ» (صَحِيح جامع التِرمذي: ٣٢١١) جَبْرًا لِخَاطِرِهِنَّ، وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِنَّ، وَلِيَعْلَمْنَ أَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَلا بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى فِي جَزَاءِ الأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا

ضوء الكتاب والسنة

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » **(النحل: ٩٧)**، وَقَالَ تعَالَى: « مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » **(غافر: ٤٠)**، وَالأَصْلُ فِي التَّكَاليف الشَّرْعِيَّة أَنَّ النِّسَاءَ شَقَائقُ الرِّجَالِ، وَأَنَّهُنَّ دَاخلاَتٌ فِي لَفْظ المُسْلمينَ وَالمُؤْمنينَ وَإنْ لَمْ يُصَرَّحْ بذكْرهنَّ، إلاَّ مَا قَامَ الدَّليل عَلَى اخْتصَاصه بالرِّجَالِ.

وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذه الآيَةُ الرَّكَائزَ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الشَّخْصيَّةُ المُسْلمَة، وَهيَ العَقيدَةُ، وَالعبَادَة، وَالأَخْلاَقُ.

وَقَدْ بَدَأَتْ بالعَقيدَة أَوَّلاً لأَنَّهَا الأَسَاسُ الَّذي يُبْنَى عَلَيْه غَيْرُهُ، وَلاَ يُقْبَل عَمَلٌ إلاَّ به، وَالعَقيدَةُ تَتَمَثَّل فِي الإيمَان بالله، وَالاسْتسْلاَم لَهُ، وَلذَلكَ قَالَ تَعَالَى: «إنَّ المُسْلمينَ وَالمُسْلمَات وَالمُؤْمنينَ وَالمُؤْمنَات».

فَإذَا آمَنَ المَرْءُ بالله، وَأَسْلَمَ لَهُ، وَجَبَ عَلَيْه أَنْ يُطيعَهُ فِي كل مَا يَأمُرُ به وَيَنْهَى عَنْهُ، وَلذلكَ عطفَ القُنُوتَ عَلَى الإسْلاَمِ وَالإيمان، فَقَالَ تَعَالَى: «وَالقَانتينَ وَالقَانتَات» أَيْ: المُطيعينَ وَالمُطيعَات.

وَطَاعَةُ الله وَرَسُوله وَاجبَةٌ، وَمَعْصيَةُ الله وَرَسُوله مُحَرَّمَةٌ، وَقَدْ كَثُرَ فِي القُرْآن الكَريم الأَمْرُ بالطَّاعَة وَبَيَانُ ثَوَابهَا، وَالنَّهْيُ عَن المَعْصيَة وَبَيَانُ عقَابهَا:

قَالَ الله تَعَالَى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ » **(النساء: ٥٩)**، وَقَال تَعَالَى: « قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ » **(النور: ٥٤)**، وَقَال تعَالَى: « وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » **(آل عمران: ١٣٢)**، وَقَال تَعَالَى: « وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » **(الأحزاب: ٧١)**.

الصِّدْقُ منْ صفَات المُؤْمنينَ، وَالْكَذبُ منْ صفَات الْكَافرينَ وَالمُنافقينَ، كَمَا قَال تَعَالَى: « إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ » **(النحل: ١٠٥)**، وَقَال تَعَالى عَن المُنَافقينَ: « فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ » **(البقرة: ١٠)**.

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَال: «آيَةُ المُنَافق ثَلاَثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَب، وَإذَا اؤْتُمنَ خَانَ، وَإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» متفق عليه.

فَعَلَى المُسْلمينَ أَنْ يَتَحَرَّوْا الصِّدْقَ، فَإنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ، وَأَنْ يَجْتَنبُوا الْكَذبَ، فَإنَّ الْكَذبَ مَهْلَكَةٌ.

وَلَقَدْ بَلَغَ منَ اهْتمَام الإسْلاَم بالصِّدْق وَالْحَثّ عَلَيْه أَنْ أَمَرَ المُسْلمينَ أَنْ يُنَشِّئُوا صبْيَانَهُمْ منَ الصِّغَر عَلَى الصِّدْقَ، فَإذَا وَعَدَ الأَبُ وَلَدَهُ وَجَبَ عَلَيْه أَنْ يَفيَ بوَعْده، وَإنْ أَخْبَرَهُ خَبَرًا وَجَبَ عَلَيْه أَنْ يَصْدُقَهُ، حَتَّى يَنْشأَ الصِّغَارُ منْ صغرهمْ عَلَى الصِّدْق: عَنْ عَبْد الله بْن عَامر رَضيَ الله عَنه أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْني أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَاعدٌ فِي بَيْتنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَال أُعْطيكَ، فَقَال لَهَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَرَدْت أَنْ تُعْطيه؟» قَالَتْ: أُعْطيه تَمْرًا فَقَال لَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إنَّك لَوْ لَمْ تُعْطه شَيْئًا كُتبَتْ عَلَيْك كذْبَةٌ» (صحيح سنن أبي داود ٤١٧٥).

كَمَا بَلَغَ منَ اهْتمَام الإسْلاَم بالصِّدْق أَنَّهُ لَمْ يُبح الْكَذبَ حَتَّى فِي المُزَاح:

عَنْ بَهْز بْن حَكيم عَنْ أَبيه عَنْ جَدِّه قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «وَيْلٌ للَّذي يُحَدِّثُ فَيَكْذبُ ليُضْحكَ به الْقَوْمَ، وَيْل لَهُ، وَيْلٌ لَهُ» (صحيح جامع الترمذي ٢٤١٧).

كَمَا بَلَغَ منَ اهْتمَام الإسْلاَم بالصِّدْق أَنْ حَثَّ أَتْبَاعَهُ عَلَى الصِّدْق فِي كُلِّ مُعَامَلاَتهمْ، وَفِي بَيْعهمْ وَشرَائهمْ:

عَنْ حَكيم بْن حزَام رَضيَ الله عنه عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَال: «البَيِّعَان بالْخيَار مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعهمَا، وَإنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحقَ بَرَكَةُ بَيْعهمَا» (صحيح البخاري ٢٠٧٩).

وقفة مع النفس

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد:

في مستهل كل عام هجري، ومع إشراقة كل سنة يتعين على العاقل أن يتذكر أنَّ الليل والنهار يقربان كل بعيد، ويَخْلقَان كل جديد، قال الله تعالى: « وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » (الفرقان:٦٢)، وأن يعلم أنه بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، وفي مطلع العام نستفتح صفحات بيضاء لا يدري العبد ما يُسطر فيها، يغدو ويروح إلى أجل قد غُيب عنه علمه، وفي مراحل العمر وتقلبات الأيام وقفات يحاسب فيها العبد نفسه فيستثقل ذنبه ويستغفر ربه، يراجع أعماله فمن الخير يزداد وعن التقصير يقلع، ولا يزال العبد على هدى ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همته، فمن راجع نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، فما الأعمار إلا أعوام وما الأعوام إلا أيام، وما الأيام إلا أنفاس، فحتم على كل ذي عزم آمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرةٌ نفيسة لا عوض لها.

إخـواني: إنكم في هذه الأيـام تودعون عامًا ماضيًا شهيدًا وتستقبلون عامًا مقبلاً جديدًا، فليت شعري ماذا أودعتم في العام الماضي وماذا تستقبلون به العام الجديد، فليحاسب العاقل نفسه ولينظر في أمره فإن كان قد فرط في شيء من الواجبات فليتب إلى الله وليتدارك ما فات، وإن كان ظالمًا لنفسه بفعل المعاصي والمحرمات فليقلع عنها قبل حلول الأجل والفوات وتمني الرجعة ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (المؤمنون:١٠٠)، وقـال تعالى: « يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ » (الأعـراف:٥٣). وقال تعالى: « وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ » (الأنعام:٢٨)، وقال تعالى: « وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السـجـدة:١٢)، وقـال تعالى: « وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » (فاطر:٣٧)، وقال تعالى: « قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ » (غـافـر:١١)، وقـال تعالى: « وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ » (الشـورى:٤٤)، وقد تضمنت هذه الآيـات التي ذكرنا، وأمثالها في القرآن أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند حضور الموت، ويوم النشور ووقت عرضهم على الله تعالى، ووقت عرضهم على النار.

رحم الله من قال: كلنا قد أيقن الموت، وما نرى له مستعدًا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا، فعلام تفرحون؟ وما عسيتُم تنتظرون؟ الموت فهو أولُ واردٍ من أمر الله بخير، أو بشرٍّ، فيا إخوتاه: سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً، فيا أيها الغافلون تيقظوا فإليكم يوجه الخطاب، ويا أيها النائمون انتبهوا قبل أن تُناخ للرحيل الركاب، فالموفق من يسعى لصلاح حاله، بحيث يكون غده خيرًا من يومه، ويومه أفضل من أمسه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي، والكيس من حاسب نفسه عند دخول العام الجديد، وراجع حساباته، وفتح صفحة جديدة من حياته، فبدأ جادًا في إصلاح نفسه، وتغير مجرى حياته، وحياة أسرته من الشرِّ إلى الخير، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن

مع نهاية العام

إعداد/ **عبده أحمد الأقرع**

التفريط والتهاون والإضاعة إلى التوبة والإنابة والطاعة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. (البخاري: ٦٤١٦). فالعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، يقول الحسن البصري رحمه الله: إن أيسر الناس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله في هذه الدنيا فوقفوا عند أعمالهم، فإن كان الذي هموا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور فأخذوها من غير محاسبة فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر.

وفي انقضاء العام تذكر بانقضاء العمر وسرعة مرور الأيام تذكر بقرب الرحيل من هذه الدار، وليلتان اثنتان ليجعلهما المرء في مخيلته، ليلة في بيت أهله منعمًا سعيدًا في عيش رغيد، وفي عافية ومسرة يُضاحك أولاده ويضاحكونه، والليلة التي تليها في القبر وحيدًا فريدًا، قال صلى الله عليه وسلم: «يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله: فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله ويبقى عمله». (البخاري: ٦٥١٤، ومسلم: ٢٩٦٠).

فيا إخواني: حاسبوا أنفسكم فما كان من طاعة الله فاستقيموا عليه، وما كان من معصية الله فانزعوا عنه واعلموا أن التوبة مبسوطة، وأن ترك الذنب أيسر عليكم من طلب التوبة، ولا تدعوا ذنبًا يخلف ذنبًا، والخير كله بحذافيره في الجنة فأدلجوا في السير إليها، والشرَّ كله بحذافيره في النار فاجتهدوا في الهرب منها، وزكوا أنفسكم بالأعمال الصالحة من دون السيئات.

فالحياة ميدان فسيح لصالح الأعمال، وها أنتم تزدلفون إلى عام جديد، وقد ودعتم عامًا من عمركم مضى بما أودعتموه من عمل، والسعيد من استودع مدة عمره صالحًا من عمله، والشقي من شهدت عليه مدة عمره بقبيح ذنبه، فاحفظوا أيام عمركم قبل خلوكم في قبوركم، واغتنموا أيام حياتكم قبل الفوات فقد قال الله عن أهل الجنة: «كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ» (الحاقة:٢٤)، وقال تعالى: «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا» (الإنسان:٢٢).

وحسبنا إخواني: قول الله تعالى: «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ (٨٩) وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (النمل:٩٠)، وقوله تعالى: «مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ» (فصلت:٤٦).

فيا إخواني: التوبة التوبة، قال الله تعالى: «إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (النساء:١٧-١٨)، «وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ» (الزمر:٥٨).

فأروا الله من أنفسكم خيرًا.

أثر السياق في فهم النص

(الحلقة ٨٦)

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الحلقة الثانية

النمص

إعداد/ **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في الحلقة السابقة ذكرت أني سأتكلم عن النمص في عناصر وكانت هذه العناصر كالتالي:

أولا: أحاديث النمص. ثانيًا: معنى النمص. ثالثا: النمص عند فقهاء المذاهب الأربعة. رابعًا: فقه الأحاديث.

ونستكمل الكلام في العنصر الرابع وهو فقه الأحاديث.

ذكرنا أن الحديث العمدة في هذا الباب هو حديث: لعن الله الواشمات والمستوشمات... الحديث، ورأينا أن سبب إنكار أم يعقوب على ابن مسعود رضي الله عنه هو لعن الواصلة والمستوصلة لأنها كانت امرأة زعراء (قليلة شعر الرأس) وليس بسبب النمص (كما ورد ذلك في رواية للحديث ذكرناها في العدد السابق)، وإنما أنكر عليها ابن مسعود حف جبينها، لما رآه يبرق.

وذكرنا بعضا من كلام أهل العلم حول النمص. وأنهم اختلفوا فيما يلي ١- اختلافهم في معنى النمص، هل هو يتعلق بنتف الشعر فقط وجواز الحلق، أم هو مطلق الأخذ من الشعر سواء كان بالنتف أو الحف (الحلق).

٢- اختلافهم في علة المنع، فمن رأى أن علة النهي هي الغش والتدليس، أجاز النمص بإذن الزوج. ومن رأى أن العلة هي تغيير خلق الله ابتغاء الحسن - كما هو مصرح به في الأحاديث منع من ذلك مطلقا، أذن الزوج أم لم يأذن. فالذي قال إن العلة هي تغيير خلق الله، أيد كلامه بالتالي:

١- أن العلة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، فلماذا نعدل عنها إلى غيرها؟

٢- أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم استثناء المتزوجة.

٣- أن النمص والوشم والوصل من جنس واحد، وقد علل النبي صلى الله عليه وسلم التحريم بعلة واحدة، هي تغيير خلق الله لأجل الحسن، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرخص للمتزوجة وصل شعرها، مع إذن زوجها بل وأمره لها بذلك، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها، فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له. فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال لا: إنه قد لعن الموصلات. (متفق عليه).

(تمعط: تمزق وتساقط).

وفي رواية مسلم: أن امرأة من الأنصار زوجت ابنة له، فاشتكت فتساقط شعرها، فأتت النبي صلى الله عليه

وسلم، فقالت: إن زوجها يريدها أفأصل شعرها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الواصلات.

وفي حديث أسماء رضي الله عنها عند البخاري: أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني أنكحت ابنتي ثم أصابها شكوى فتمرق رأسها. وزوجها يستحثني بها أفأصل رأسها... وزوجها يستحثني، أي: يحضني على دخوله بها.

وعند الطبراني من حديث محمد بن إسحاق عن فاطمة بنت المنذر، فأصابها الحصباء والجدري فسقط شعرها، وقد صحت وزوجها يستحثنا وليس على رأسها شعر.. (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٨/٤٧٦).

وفي رواية عند مسلم: إن لي ابنة عُرَيسا (تصغير عروس: وهى حديثة العهد بالزواج) قال النووي: وزوجها يستحثنها (وفي رواية يستحثنيها).... من الحث وهو سرعة الشيء (شرح النووي على مسلم ١٤/١٠٥).

والجمع بين الأحاديث – والله أعلم – أن المرأة تزوجت حديثا ثم مرضت فأقامت عند أمها أثناء مرضها لتقوم على رعايتها، وعندما تماثلت للشفاء تساقط بعض شعر رأسها – وليس كله- بدليل قول أمها: أأصله، أي تساقط بعض الشعر وليس كل الشعر والزوج يريد زوجته مرة ثانية بعد شفائها، وقد علم بما حدث لزوجته فأمرهم أن يصلوا شعرها، وأرادوا هم ذلك، لكن الأم توقفت حتى تستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي منع ذلك صلى الله عليه وسلم. قال الحافظ ابن حجر: وفي هذه الأحاديث حجة لمن قال: يحرم الوصل في الشعر والوشم والنمص، على الفاعل والمفعول به، وهي حجة (أي الأحاديث) على من حمل النهي فيه على التنزيه؛ لأن دلالة اللعن على التحريم من أقوى الدلالات، بل عند بعضهم أنه من علامات الكبيرة (فتح الباري ١٠/٣٧٧).

وفي عمدة القاري: ثم العلة في تحريمه إما لكونه شعار الفاجرات أو تدليسا أو تغيير خلق الله عز وجل، ولا يمنع من الأدوية التي تزيل الكلف وتحسن الوجه للزوج، وكذا أخذ الشعر منه (عمدة القاري شرح صحيح البخاري- بدر الدين العيني ٢٠/١٩٣).

والذي قال: إن العلة هي الغش والتدليس كما قال ابن الجوزي. وإنما نهى عن ذلك لما فيه من الغش والخداع (كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٤/٣٧١) أجاز ذلك بإذن الزوج. قال النووي عن وصل شعر المرأة: وأما الشعر الطاهر من غير الآدمي فإن لم يكن لها زوج ولا سيد فهو حرام أيضا، وإن كان فثلاثة أوجه، أحدها: لا يجوز لظاهر الأحاديث (أحاديث النهي)، والثاني: لا يحرم، وأصحها عندهم إن فعلته بإذن الزوج أو السيد جاز، وإلا فهو حرام.

قالوا: وأما تحمير الوجه والخضاب بالسواد وتطريف الأصابع، فإن لم يكن لها زوج ولا سيد أو كان وفعلته بغير إذنه فحرام، وإن أذن جاز على الصحيح. هذا تلخيص كلام أصحابنا في المسألة (الشافعية شرح النووي على مسلم ١٤/١٠٤).

لكن يشكل على هذا، أن الزوج أمر بوصل شعر زوجته، وبالتالي فالوصل بعلمه، فبعدت علة الغش والتدليس. ونفهم من الأحاديث أن تساقط شعر هذه المرأة كان مؤقتًا، وليس دائمًا، بدليل أن أمها قالت: وزوجها يستحثني، يتعجلها، فلو أمهلهم لعاد إليها شعرها وما احتاجوا إلى وصله بآخر. والله أعلم.

(ويثار سؤال: ماذا لو تساقط شعر المرأة بالكلية وصارت صلعاء أو قرعاء، فهل يدخل هذا في النهي عن الوصل؟ قلت: هذا ليس من الوصل لأنه لا يوجد شعر بالأصل، ولا شك أن هذا ينفر زوجها منها، والضرر يزال، لذا جوَّز فريق من أهل العلم زراعة الشعر لها، وأن هذا ليس من تغيير خلق الله، بل إعادة الخلقة إلى ما كانت عليه (انظر قرار مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الثامنة من ٢٤-٢٩، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن استعمال الباروكة لمن تساقط شعر رأسها على وجه لا يرجى معه أن يعود؟ فقال: إن الباروكة في مثل هذه الحال لا بأس بها؛ لأنها في الحقيقة ليست لإضافة تجميل، ولكنها لإزالة عيب، وعلى هذا فلا تكون من باب الوصل الذي لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعله فقد لعن الواصلة والمستوصلة. والواصلة هي التي تصل شعرها بشيء، لكن هذه المرأة في الحقيقة لا تشبه الواصلة، لأنها لا تريد أن تضيف تجميلاً، أو زيادة إلى شعرها الذي خلقه الله تبارك وتعالى لها، وإنما تريد أن تزيل عيبًا حدث، وهذا لا بأس به؛ لأنه من باب إزالة العيب، لا إضافة التجميل، وبين المسألتين فرق. (فتاوى نور على الدرب ٢٢/٢).

فهناك فارق بين إزالة عيب منفر وبين زيادة تجميل، والقاعدة أن الضرورات تبيح المحظورات. ويدل على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عرفجة بن سعد رضي الله عنه – الذي قطع أنفه- أن يتخذ أنفا من ورق (فضة) ثم أنتن، فأمره أن يتخذ أنفا من ذهب (صحيح سنن الترمذي وغيره).

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الذهب للرجال، كما بحديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: "إن هذين حرام على ذكور أمتي" (صحيح سنن أبى داود وغيره).

وهل يؤيد هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعنت الواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة والواشمة والمستوشمة من غير داء (صحيح سنن أبى داود وغيره) وقد اختلف في قوله (من غير داء) هل يعود على الواشمة والمستوشمة فقط، أم يعود على المذكورات في الحديث؟ فقيل يعود على الواشمة والمستوشمة فقط فإن احتاجت إلى الوشم للمداواة جاز وإن بقى منه أثر، وقيل متعلق بكل ما تقدم، أي لو كان بها علة فاحتاجت إلى أحدها لجاز. (انظر مرقاة المفاتيح ٢٨٣٦/٧، وعون المعبود ١٥٢/١١).

وقال الشوكاني: (إلا من داء) ظاهره أن التحريم المذكور إنما هو فيما إذا كان القصد التحسين لا لداء وعلة فإنه ليس بمحرم (نيل الأوطار ٢٢٧/٦).

وقال الحافظ ابن حجر: ويستفاد منه أن من صنعت الوشم عن غير قصد له بل تداوت مثلاً فنشأ عنه الوشم ألا تدخل في الزجر (فتح الباري ٣٧٦/١٠).

وهناك من قال: إن العلة في النهى أن النمص هو شعار الفاجرات: نقل السفاريني عن ابن الجوزي أنه أباح النمص وحده (أي دون الوشم والوصل والتفليج) وحمل النهى على التدليس أو أنه شعار الفاجرات (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفارينى ٤٣٠/١) وكذلك نقل الحافظ ابن حجر عن بعض الحنابلة قولهم: إن كان النمص أشهر شعارًا للفواجر امتنع، وفي رواية يجوز بإذن الزوج، إلا إن وقع به تدليس فيحرم (فتح الباري ٣٨٧/١٠).

(فائدة هامة: إذا كان بحثنا عن النمص، فلماذا نتكلم عن وصل الشعر؟ قلت لشمول الحديث للنمص والوصل، فالكلام عن الوصل ينسحب على الكلام على النمص أو الوشم بما يسمى بدلالة الاقتران، وقد اشتهر أن دلالة الاقتران ضعيفة عند الأصوليين، وهذا القول على شهرته قول ضعيف، وإنما فيه تفصيل فقد تكون دلالة الاقتران قويه فيحتج بها، وقد تكون ضعيفة، فحينئذ ينظر إلى كل سياق باعتبار السابق واللاحق. فلا يدّعى بأن دلالة الاقتران حجة في كل موضع، ولا يدعى بأن دلالة الاقتران ضعيفة في كل موضع، بل الصواب أن فيه تفصيلاً. والتفصيل إنما ينظر فيه بحسب نظر المجتهد في كل دليل وليس فيه قاعدة عامة ومطلقة (انظر شرح مختصر التحرير للفتوحي، للحازمي ٣٠/٤٩).

فدلالة الاقتران هنا قوية؛ إذ جمع في النص بين أمور اتفق حكمها، (لعن الواصلة والمستوصلة...)، فجمع بين المذكورات في الحديث باللعن وهو يفيد التحريم. ولم يأت في حديث آخر جواز إحداهن. وكما بقوله تعالى: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس..» (المائدة: ٩٠)، فهذا يقتضي التحريم. وكما بحديث: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف".. فقد قرن الحديث بين ثلاث محرمات بالنص والإجماع وهى الحر (الزنا) والحرير والخمر، وأضاف إليه المعازف مما يفيد تحريمها أيضاً. ولم يأت نص آخر يفيد جواز المعازف، بل العكس.

وقد تأتي دلالة الاقتران ضعيفة إذا جمع في النص بين أمور أختلف حكمها كما في قوله تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) (الأنعام ١٤١)، فالأكل من الثمار ليس بواجب بينما الزكاة واجبة. والتشبه بالفاجرات ليسّت علة مقصورة على النمص فقط، فهي علة لكل ما كان من شأنه تقليد الفاجرات في زيهن أو كلامهن أو غير ذلك، فينهى عنه لعلة التشبه بهن.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تشبه بقوم فهو منهم "(صحيح سنن أبي داود وغيره)، فالتشبه بالفاجرات وغيرهن حرام شرعًا.

الأثر المترتب على الاختلاف في العلة: فمن رأى أن العلة هي التدليس والغش أجاز النمص وغيره بإذن الزوج، ومن رأى أن العلة هي تغيير خلق الله ابتغاء الحسن، منع من النمص مطلقًا، أذن الزوج أو لم يأذن.

هل يقتصر المنع على النمص فقط، أم مطلق الأخذ من الشعر سواء كان بالنتف أو الحف (الحلق)؟

يرى الحنابلة اقتصار النهى على النمص فقط، وأما حلق الشعر فلا بأس به؛ لأن الخبر إنما ورد في النتف، نص على هذا أحمد (انظر المغني ٧٠/١).

بينما يرى الشافعية والمالكية أن النهي على الإطلاق فلا يجوز بالنتف أو الحف (وقد سبق ذكر أقوال فقهاء المذاهب بالتفصيل في العدد السابق).

قلت: وتجويز الحنابلة للحف بالموسى، لا شك أنه سيؤدي-كما هو معروف- إلى غزارة شعر الوجه أو الحاجبين، فلا تستطيع المرأة أن تتركه بعد ذلك؛ لأنها لو تركته سيؤدي إلى ظهورها بمظهر منفر لتزايد شعر وجهها وحاجبيها بسبب الحف بالموسى. والله أعلم، وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الرازي إمام متأخري الأشاعرة يتوب ويتخلى عن مذهب الخلف في تأويل الصفات، ويدين بمذهب أهل السنة والجماعة في إثباتها وحملها على ظاهرها

الحلقة (٢٧)

إعداد/ **د. محمد عبد العليم**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد أتينا - من خلال العشر حلقات الأخيرة من هذه السلسلة المباركة - على جُلِّ شبهات وادعاءات الأشاعرة، وعلى رأسهم الفخر الرازي منظر مذهب الخلف والمعبر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة والمتوفى سنة ٦٠٦هـ، حول قولهم بإمكانية معارضة العقل وتقديمهم إياه على النقل في نفي ما عدا صفات المعاني وتأويلها بمعانٍ ما أنزل الله بها من سلطان، وتقولهم فيها على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ومخالفتهم أهل السنة والجماعة في حمل الصفات الخبرية والفعلية على ظاهرها دون ما تحريف.

وذكرنا أن الأشاعرة بهذا - فضلاً عن أنها تناقض نفسها فيما انتهجته في مسألة التقبيح والتحسين الشرعي - تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة في (مصدر التلقي)، ففي حين يرى أهل السنة أنَّ مصدر التلقي: (النقل، أي: القرآن وصحيح السنة)، يرى الأشاعرة أنَّ مصدر تلقيها هو: (العقل)، فخالفوا أهل السنة في عديد من مسائل الاعتقاد.

ومن ذلك: ما يتعلق بتوحيد الله في صفاته، فهم فيها يقدمون العقل على النقل بعد أن افتعلوا معارضة بينهما، وذلك فيما عرف لديهم بـ (القانون الكلي) الذي وضعه لهم الرازي في (أساس التقديس) وأكد عليه في (الأربعين في أصول الدين) في صورة مقدمات، وقد عوَّل عليه من الأشاعرة: الإيجي في (المواقف)، والسنوسي في (الكبرى) وصاحب (جوهرة التوحيد) وشروحها.

وملخص هذا القانون الأثيم: (تقديم الدلائل العقلية القاطعة لكونها يقينية على الدلائل النقلية، وأنَّ الدلائل النقلية إما أن يقال: إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أنَّ المراد فيها غير ظواهرها)، ونص عبارته كما في أساس التقديس ص ١٩٣، ١٩٤: "اعلم: أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يُشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أمور أربعة: إما أن يُصَدَّق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال، وإما أن نبطلهما فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال، وإما أن تُكَذَّب الظواهر النقلية وتُصَدَّق الظواهر العقلية، وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية وذلك باطل، لأننا لا يمكننا أن نَعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية: إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول، وظهور المعجزات على يديه صلى الله عليه وسلم..

ولو جوَّزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية لصار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج عن أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول، خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في

العقل والنقل معاً وأنه باطل، ولمَّا بطلت الأقسام الأربعة، لم يبق إلا أن يُقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة: بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها" يعني فتأول.؟

ثم يردف قائلاً: "ثم إن جَوَّزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات".. وقد رأينا كيف أن هذا القانون الذي يرى أنَّ العقل مصدر التلقي ويعارض النقل، أدى بالأشعرية تجاه نصوص الصفات إلى أحد أمرين:

١-(التحريف الناشئ عن التأويل)

٢-(التفويض المفضي إلى تجهيل الأنبياء وأتباعهم).. وذلك قول صاحب جوهرة التوحيد إبراهيم اللقاني الأشعري:

وكل نص أوهم التشبيها
أوّله أوفوّض ورم تنزيها

كما رأينا كيف رتّب الأشاعرة على جعل العقل مصدراً للتلقي ومعارضاً للوحي، أصولاً خطيرة باطلة، منها: إسقاط قيمة النصوص الشرعية من القرآن وصحيح السنة في مجال العقيدة وعدم الاعتداد بها، وعدم إفادة هذه النصوص لليقين إذ هي لديهم ظنية الدلالة ومن ثم لا يُحتَجُّ بها، نعوذ بالله من الضلال.

ويحق لنا هنا - ونحن نشير إلى أن التفويض وجعل نصوص الصفات من المتشابهات، لم يكن بحال من الأحوال مذهباً للسلف على ما سبق أن قررنا ذلك مراراً وتكراراً - أن نؤكد على أن ما أفاده الرازي هنا وصرح به ص ٢٠٧ من كتابه (أساس التقديس) بشأن جعل آي وأحاديث الصفات من "المتشابهات التي يجب القطع بأن مراد الله منها شيء غير ظواهرها، كما يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ولا يجوز الخوض في تفسيرها"، ونسبة الأشاعرة ذلك إلى السلف.. فضلاً عن كونه لا يمت إلى السلف بصلة.. هو من قبيل ذكر الشيء وضده.

كما يحق لنا أن نتساءل: كيف ينسب الأشاعرة للسلف تفويض معاني هذه المتشابهات - على حد زعمهم - إلى الله، ثم يُدَّعوا حملها على غير ظواهرها؟، وكيف يسوغ فيما وجب حمله على غير ظاهره أن يقع فيه التفويض؟، وكيف يتسنى القول بالتفويض أصلاً، ومجرد حملها على غير ظواهرها المفضي حتماً إلى التأويل، هو نقض للتفويض من الأساس؟، وأليس هذا بعينه هو التناقض الذي سبق أن رددنا عليه إبان حديثنا عن الشهرستاني ومن قبل على أبي المعالي بن الجويني؟، ثم إن كان "لا يجوز لنا - على حد قوله - الخوض في تفسيرها"، فما فائدة القول إذن بحملها على غير ظاهرها، أو القول على سبيل التبرع بتأويلها؟

١- مزيد من مناقشه الرازي فيما جنح إليه من تقديمه العقل على النقل:

من خلال ما نقلناه للرازي يبدو بوضوح أن الخرق - فيما يتعلق بمسألة إهمال النصوص وبخاصة المثبتة منها للصفات، وتقديم العقل المتعارض معها على حد قوله - قد اتسع، وبخاصة في جعل الرازي ما افترضه في قوله: "وإما أن تكذِّب الظواهر النقلية وتصدق الظواهر العقلية" أمرا محتملاً في قسمة عقلية - هي بكل تأكيد وبموجب دلالة العقل ذاته - فاسدة، بينا أحال وقال ببطلان تكذيب الدلائل العقلية ليخرج بهذه النتيجة البائسة، وهي: (تقديم العقل على النقل، والتسليم للأول وتكلف البحث عن مسالك التأويل للثاني).. ومن باب (وذكر إن نفعت الذكرى.. الأعلى/٩)، نؤكد على ما سبق أن بيَّناه قبلُ ضمن جواب قولهم في مقدمات ما توصلوا إليه من نتائج: (إن القدح في العقل لتصحيح وإعمال النقل، يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً، لذا وجب تقديم العقل)، من أن ذلك ممنوعٌ.. لأنهم:

إن أرادوا بذلك: جعل العقل أصلاً في ثبوت النقل في نفس الأمر، فهذا لا يقول به عاقل، لأن النقل ثابت في نفس الأمر وليس موقوفاً على علمنا أو علم العقل به، فعدم علمنا بالحقائق لا ينافي ثبوتها في نفس الأمر، ذلك أن ما أخبر به الرسول هو ثابت في نفسه، سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه، وسواء صدقه الناس أو لم يصدقوه، كما أن رسول الله حق وإن كذبه من كذبه، وأيضاً فإن وجود الله وثبوت أسمائه وصفاته حق، سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه، فلا يتوقف ذلك

على وجودنا فضلاً عن علومنا وعقولنا، لأن الشرع المنزل من عند الله مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا، ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه، فإذا علم العقل ذلك حصل له كمال لم يكن قبل ذلك، وإذا فقده كان ناقصاً جاهلاً.

وإن أرادوا به: أن العقل أصل في معرفتنا بالنقل ودليل على صحته، قيل لهم: ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصلاً للنقل ودليلاً على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصى، والعلم بصحة السمع يتوقف على ما به يعلم صدق الرسول من العقليات، وليس كل العلوم العقلية يعلم بها صدقه، بل إن ذلك يُعلم بالبراهين والآيات الدالة على صدقه.. فعُلم بذلك أن جميع المعقولات ليست أصلاً للنقل، لا بمعنى توقف ثبوته في نفس الأمر عليها، ولا بمعنى توقف العلم بالنقل عليها.. وأنه لا يلزم من تقديم السمع على المعقول في الجملة، القدح في أصله، كذا أفاده ابن القيم في الصواعق ص ٩٧: ١٠٠.

كما ذكرنا في جواب ذلك أيضاً: "أن أرباب هذا القانون الذين منعوا استفادة اليقين من كلام الله ورسوله، مضطربون في العقل الذي يعارض النقل أشد الاضطراب، فالفلاسفة وفرق الشيعة والخوارج والمعتزلة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والاتحادية وطوائف أهل الكلام، كل منهم يدعي أن صريح العقل معه، وأن مخالفه قد خرج عن صريح العقل، ونحن نصدق جميعهم ونبطل عقل كل فرقهم بعقل الأخرى، ثم نقول للجميع: بعقل مَن منكم يُوزن كلام الله ورسوله فما وافقه قُبِل وأقر عليه وما خالفه أوِّل أو فوض إلى عقولكم؛ مع العلم أن كلها تفيد الريب والشك والحيرة والجهل المركب؟!.. ومع العلم أيضاً أن القرآن مملوء بذكر الأدلة العقلية على صفات كماله، فإن لم تفد يقيناً لم يُفد دليل يقيناً بمدلول أبداً؟!.

كما أن الذين زعموا أن العقل يجب تقديمه على السمع عند تعارضهما، "إنما أتُوا من جهلهم بحكم العقل: فظنوا ما ليس بمعقول - وهو الكيف - معقولاً، أو من جهلهم بالسمع: إما بنسبتهم إلى الرسول ما لم يقله، أو نسبتهم إليه ما لم يُرِدْه بقوله كتلك التأويلات التي حرفوا بها الكلم عن مواضعه ولا مستند لها من كتاب ولا سنة، وإما لعدم تفريقهم بين ما يدرك وهو معاني هذه الصفات، وما لا يدرك بالعقول وهي كيفياتها، فهذه أربعة أمور أوجبت لهم ظن التعارض بين السمع والعقل"..

وفيما يتعلق بالأخير من هذه الاحتمالات يفيد ابن القيم رحمه الله أنه تعالى قد أخبر في كتابه أن ما على رسوله إلا البلاغ المبين، وقد شهد الله له - وكفى بالله شهيداً - بالبلاغ، كما شهد له به أعقل الخلق وأعلمهم وأفضلهم وهم الصحابة الأجلاء عليهم الرضوان، فلو لم يعرف المسلمون ما أرسل به ويحصل لهم منه العلم واليقين، لما حصل من الرسول البلاغ المبين.. وإذا كان أعقل الخلق على الإطلاق بأبي هو وأمي، إنما حصل له الهدى بالوحي كما قال تعالى: (قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي..) (سبأ: ٥٠)، فكيف يحصل لغيره الاهتداء إلى حقائق الإيمان وصفات الكمال، بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي حتى اهتدوا بتلك الهداية إلى المعارضة بين العقل ونصوص الوحي.

على أن تقديم العقل على النقل يستلزم ويتضمن القدح في العقل والنقل معاً وليس العكس، لأن العقل - فضلاً عما سبق ذكره - لا بديل أمامه من تصديق الشرع، ومن ضرورة تصديقه له: قبول خبره.. وأيضاً لأن العقل قد شهد الشرع والوحي بأن النقل أعلم منه، وأن نسبة علوم العقل ومعارفه إلى الوحي، أقل من خردلة بالإضافة إلى جبل، فلو قدم حكم العقل عليه لكان ذلك قدحاً في شهادة العقل ذاته، وإذا بطلت شهادته بطل قبول قوله، ذلك أن الشرع فضلاً عن أنه مأخوذ عن الله بواسطة رسوليه: الملَك والبشر، هو كذلك مؤيدٌ بشهادة الآيات وظهور البراهين على ما يوجبه العقل ويقتضيه تارة، وعلى ما يستحسنه تارة، وعلى ما يُجَوِّزه تارة، ويضعف عن دركه تارة.

ولنضرب لذلك مثالاً بحال المعتزلة - وقد جعلوا التوحيد أصلاً من أصولهم الخمسة،

وأرادوا بتعطيلهم الصفات الخبرية والفعلية تنزيه الله عن الشبيه والمماثل من كل وجه - ولنتأمل إلام وصلت عقولهم؟، وماذا فعلت عندما اكتفوا بها وحدها واستغنوا عن نصوص الوحي؟، لقد أدت بهم هذه العقول إلى نفي صفات الخالق، والتكذيب ومن ثم التأويل لصحيح النصوص التي جاءت بإثباتها، فعطلوا الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله من نحو صفة الكلام ورؤية الله في الآخرة.

وقد جرهم ذلك إلى القول بخلق القرآن وتأويل ما جاء من نصوص في رؤيته تعالى، وفتح ذلك لهم الباب واسعاً لنفي سائر ما أثبته سبحانه لنفسه من صفات الأخبار والأفعال، كصفة اليد والعين وصفات المحبة والرضا والغضب والسخط ليؤولوها بما يلائم عقولهم، وكانت حجتهم في ذلك أن تعدد الصفات مؤذن بتعدد الذات.. ولا يخفى ما في هذا الدليل من فساد وضعف وانحراف، إذ لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الذات، وليس ثمة ما يمنع أن تكون ذاته تعالى واحدة وصفاته متعددة.. وهكذا بدا فساد اعتقادهم في سائر ما وضعوه من أصول فسَّروها وقالوا فيها بأهوائهم.. ومن شديد ما يؤسف له أن تبعهم في بعض ذلك أئمة الخلف، فمنهم من هدى الله، ومنهم من آثر السير على نهجهم في اتباع العقل وهجران الشرع، وقد جاء المزيد من هذه الردود والمراجعات في كتابنا (سيراً على خطا الأشعري أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه) فليراجع فإنه من الأهمية بمكان.

٢-العجب من تراجع صاحب نظرية التأويل وتقديم الدلائل العقلية القاطعة على النقلية الظنية، دون مَن تأثر بها ممن وليه:

لقد تداركت رحمةُ الله تعالى، الفخرَ الرازي، صاحب هذه القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية، والذي خلط من خلالها الكلام بالفلسفة، فكان ما أخبر عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: (٤/٤٢٦- ٤٢٩): من أنه في نهاية حياته سلَّم للنقل بعد أن أدرك عجز العقل، ونبه في أواخر عمره إلى ضرورة اتباع منهج السلف، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طريق علم الكلام، وأوصى وصية تدل على حسن اعتقاده قال فيها: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ورأيتها لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥) و(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.. فاطر/١٠)، وأقرأ في النفي: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. الشورى/١١)، (ولا يحيطون به علماً.. طه/١١٠)"، ثم قال في حسرة وندامة: "ومن جرب تجربتي عرف معرفتي" اهـ، كل ذلك بعد أن "كان له تشكيكات على السنة على غاية من الوهن" على حد ما جاء في عبارة ابن حجر في كتابه السالف الذكر.

ويعجب المرءُ منا عندما يرى صاحب هذه (التشكيكات التي هي غاية في الوَهَن) يتراجع عنها، بينا يصر عليها أتباعه على مدار القرون الماضية حتى أدرك ذلك أبناءَ الأزهر وذلك بعد مضي ما يربو عن الثمانمائة سنة، فراحوا ينشرون هذه التشكيكات في السنة بين أصقاع الأرض، زاعمين أن هذا هو المنهج الوسطي الذي ارتضاه أهل السنة والجماعة، وما هو منه في قريب ولا بعيد..

والأعجب أن تراهم مع ذلك معرضين عن منهج أبي الحسن الأشعري الذي يدَّعون شرف الانتساب إليه، ويضربون في الوقت ذاته بكتبه - وأخص منها بالذكر: (الإبانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسالة أهل الثغر) التي حُققت وطُبعت وقامت عليها دراسات وأبحاث ورسائل، بل وقُرِّرت في المعاهد العلمية السنية داخل وخارج البلاد - عرض الحائط.. ولقد عرضنا من خلال مقالاتنا على متخذي القرار بالأزهر غير ما مرة ولا زلنا، أن يُدَرِّسوا كتب (الأشعري) إن كانوا صادقين في أشعريتهم، وبيَّنا أن ذلك هو التجديد بعينه والوسطية ذاتها، غير أن الأمر فيما يبدو وكما قال الشاعر:

لقد أسمعتَ إذ ناديتَ حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نار نفختَ بها أضاءت × ولكن أنت تنفخ في رماد

وإلى لقاء آخر، نستكمل شهادات المحققين بتراجع الرازي إلى مذهب أهل السنة بعد تخليه عن مذهب الخلف.. والحمد لله رب العالمين

المسلمون في أمريكا والغرب

الحمد لله الذي أرسل لنا نبيًا أعز الله به الإسلام والمسلمين، وبعدُ:

في خضم الأحداث الجارية في العالم أجمع، والمسلمون مستهدفون في أنفسهم وديارهم وبلادهم وفي كل ما يملكون، تتكالب عليهم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها بين قتل وتشريد واشعال حروب واقتسام دول بأكملها، ثم ابتلاعها بإيقاظ الفتن ونشرها وتدمير تلك البلدان واغتصابها، وتدمير لاقتصاديات تلك البلدان وحرقها، والله عزّ وجلّ يبتلي من شاء من عباده بما شاء من السراء والضراء، كما قال الله: « وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » (الأنبياء:٣٥).

إعداد/ **جمال سعد حاتم**

رئيس التحرير

ترتيبًا على ذلك كله وانطلاقًا من قوله تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (الحجرات:١٠)، وقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمنينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (متفق عليه).

وانطلاقًا من ذلك كله يستوجب علينا أن نتعرف على المسلمين في أنحاء العالم وأحوالهم، من خلال باب العالم الإسلامي، وسنبدأ بالغرب ممثلاً في أمريكا وأوروبا، وبالله التوفيق.

أمريكا.. ومحاربة الإسلام

إذا نظرت من حولك عما يقع من أحداث في بقاع المعمورة، فستجد أن الضحية دائمًا هم المسلمون، وأن أمريكا طرفًا في المستنقع الذي تؤججه، وليس أدلّ على ذلك مما تحاول أمريكا تنفيذه في مصر مرارًا وتكرارًا، وكل أماكن الأحداث، وصدق رب العزة القائل: « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ » (المائدة:٨٢)، وكلمات الحبر اليهودي زعيم حزب «شاس» عوفاديا يوسف الذي يباشر بنفسه عملية تهويد القدس: «إن العرب حشرات وحيوانات لا يستحقون العيش، وإنهم غير آدميين». إلى غير ذلك من قاموس البذاءات الذي يتقنه هذا اليهودي!! وتحت عنوان: «كيف تحارب العدو الإسلامي؟» كتبت «جلايت بين» في صحيفة «يدعوت أحرنوت» الإسرائيلية: «إن أوربا يجب أن تدرك أن عدو الأمة الأوربية اليوم هو الإسلام، ولا بد أن تبذل أوربا قصارى جهدها من أجل حصار العقل الإسلامي على

أرضها، ولا مانع من غسل دماغه من أجل خلق دماغ جديدة موالية للغرب، وبعيدة كل البعد عن العقل الإسلامي» على حد تعبير الجريدة.

ولا تترك وسائل الإعلام الصهيونية فرصة إلا وترصد حجم الانتشار الرهيب للمسلمين والإسلام في أمريكا والغرب، ورنين كلمات المرشح الجمهوري الانتخابات الرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهوري «دونالد ترامب»، مازالت تعج بها آذاننا في هجومه السافر على الإسلام والمسلمين، ومحاولة ربط العنف بالإسلام، ومحاولته إقناع الشعب الأمريكي بأن العنف والقتل والكراهية؛ هي صفات متأصلة في العقيدة الإسلامية، والله سبحانه ينصر الإسلام والمسلمين، وتتزايد كل يوم أعداد المسلمين الذين يدخلون في الإسلام، « يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ » (الصف:٨).

تعداد المسلمون في أمريكا وأوروبا

وفي تقرير عن الدراسة التي أجراها «مركز بيو للدراسات» عن عدد المسلمين في أوروبا كشف عن أن تعداد المسلمون في أوروبا يتضاعف ليصل إلى ١٠٪ من تعداد سكان القارة الأوروبية بحلول عام ٢٠٥٠م، وأن المسلمين بحلول عام ٢٠٢٧م سيشكلون ثاني أكبر ديانة في الولايات المتحدة الأمريكية، وسيفوق عددهم حول العالم عدد المسيحيين.

وأرجعت الدراسة سبب هذه الزيادة إلى عاملين؛ هما زيادة هجرات العائلات المسلمة إلى أوروبا، وكون هذه العائلات تتمتع عادة بمعدل مواليد كبير، وهو من شأنه أن يزيد من نسبة المسلمين في قارة كأوروبا التي تعاني بشكل عام من انكماش أعداد مسيحيي القارة العجوز.

وفي المقابل وكما تظهر الدراسة فإن تعداد اليهود في العالم لن يزيد كثيرًا وخاصة أن ٦٠٪ من تعداد يهود العالم هو ممن تزيد أعمارهم على الستين عامًا، والأمر كذلك بالنسبة للملحدين وغير المتدينين؛ حيث ستقل أعدادهم؛ نظرًا لأن أغلبهم من كبار السن، وميل معظمهم لتكوين أسر صغيرة العدد، مع ازدياد نمو المسلمين على مدى الأربعين عامًا المقبلة.

وقد دخل الإسلام كما ذكر المؤرخون إلى أمريكا في القرن السادس عشر الميلادي، وفي مرحلة تاريخية كانت تجارة العبيد رائجة في العالم، فأحضر كثير من الأوروبيين الذين استوطنوا أمريكا العبيد للعمل في مزارعهم، وكان معظم هؤلاء العبيد مسلمين، وبدأ انتشار الدين الإسلامي، ومع زيادة الهجرة إلى أمريكا قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى استطاعوا بناء عدد من المساجد والمراكز الإسلامية حتى وصل عدد المساجد في عام ١٩٥٢م إلى حوالي عشرين مسجدًا.

وفي القرن العشرين تحول عدد كبير من السود إلى الدين الإسلامي، وتم تأسيس منظمة العالم الإسلامي في أمريكا في العام ١٩٣٠م فجذبت هذه المنظمة أعدادًا كبيرة من الناس لاعتناق الدين الإسلامي، والانضمام لهذه المنظمة.

وتشير الإحصائيات الرسمية الصادرة منذ أكثر من ست سنوات إلى أن تعداد المسلمين في أمريكا يبلغ ٦ ملايين نسمة دون زيادة طوال تلك السنوات، بينما تشير الإحصائيات المستقلة إلى أن تعداد المسلمين في أمريكا يبلغ ما بين ٨ إلى ١٠ ملايين نسمة.

وتوجد مساجد في الكثير من الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ يتراوح عدد هذه المساجد بين ٣٥٠- ٤٠٠ مسجد، والبعض منها تم بناؤه على الطراز الإسلامي، كما توجد الكثير من المراكز الإسلامي والمدارس الإسلامية في أنحاء أمريكا.

فاللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعل رايته لترفرف على أنحاء المعمورة، والحمد لله رب العالمين.

مسابقة البحوث العلمية

يسر إدارة الدعوة وشئون التعليم وإدارة البحث العلمي بالمركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية أن تعلن عن مسابقة البحوث العلمية، وذلك في البحوث التالية:

-التربية العبادية وأثرها على الفرد والمجتمع.
- الهجمة على ثوابت الدين مظاهرها، وأسبابها وعلاجها.
- الوسطية في الإسلام بين أهل الغلو وأهل الجفاء.

شروط المسابقة:

١- الالتزام بأصول البحث العلمي.
٢- تكتب جميع البحوث على الحاسب الآلي بخط Simplified Arabic، وحجمه (١٤)، وحاشية (١١).
٣- توثق جميع النقول من مصادرها الأصلية، وتخريج الآيات والأحاديث النبوية.
٤- لا يقل البحث عن ٨٠ صفحة.

جوائز المسابقة:

الجائزة الأولى: عمرة.
الثانية: ثلاثة آلاف جنيه.
الجائزة الثالثة: ألفا جنيه.
الجائزة الرابعة والخامسة: ألف جنيه.
الجوائز من السادس إلى العاشر مكتبة علمية قيمة.

تسلم البحوث قبل نهاية شهر جمادى الأولى إلى دارة الدعوة وشئون التعليم.

انزع قسيمة المسابقة وثبتها على البحث:

الاسم: ....
الهاتف: ....
السن: ....
العمل: ....
العنوان: ....
عنوان البحث:

بشرى سارة

معرض مجلدات مجلة التوحيد

مفاجأة كبرى

موسوعة مجلة التوحيد (كرتونة المجلدات ٤٤ سنة كاملة بـ٥٥٠ جنيهاً بدلاً من ٨٥٠ جنيهاً)

مفاجأة:

- اشتراك سنة مجانا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
- الكمية محدودة والعرض سار حتى نفاد الكمية.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٤ مجلداً

مفاجأة:

- يمكنك الدفع عند الاستلام عن طريق مكتب الشحن.
- ويمكنك الشراء وإرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.

٤٤ مجلداً

٤٤ عاماً

المعرض مفتوح يوميًا بالدور السابع بالمجلة

للاستفسار يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد: 23936517

صدر حديثاً المجلد الجديد لعام ١٤٣٦ هـ